لم أعُد صغيرة

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٧/٩٤٤٤

بطاقة فهرسة

محمد، مي عصام

لم أعُد صغيرة رواية/ مي عصام محمد ط١ - القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩

١٨٢ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ١-١٠٢-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١ - القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

رائد مجدي

التدقيق اللغوي

محمد موافي

التنسيق الداخلي

أحمد البسيوني

لم أعُد صغيرة

رواية

مي عصام محمد

إهداء

إلى،

من يسكنون القلب والروح

أولئك الذين لم يزدهم البُعدُ إلّا قُربًا

أبي الغالي، أخي وتوأم روحي،

تمنيتُ لو كُنتُم هُنا، وأنا أحاول أن ألمسَ النّجوم محققةً أحلاما شاركتموني إيَّاها

لكن، وكما هو الحال، فتلك سنّة الحياة.

ليس كل ما نتمناه نُدركه..

و إلى،

أحلامي التي لم تلمس واقعًا بعد، أعدكِ أن تكوني يومًا واقعًا أعيشه..

بوجهها الصبوح المشرق، وبشرتها البيضاء الصافية، و بعينيها اللتين اتسعتا للأمل، استقبلت سلمى صباحاً جديدا. تسللت خيوط فجره الأولى مع نسمات هواءه الباردة التي أنعشتها، فأحضرت كوبًا من "النسكافيه" أخذت في ارتشاف ما فيه ببطء، ومعها كتاب جديد. وبدأت ممارسة هوايتها المفضلة في ذلك الوقت المُبكر من اليوم.

كان الكتاب شيقًا، يتحدث عن قضية الحجاب وفضله ومدى أهميته. التفكير فيما تقرأه يسيطر عليها إلى الحد الذى جعلها تترك الكتاب جانبا. ظلت تفكر، تنظر من نافذة غرفتها إلى الطريق بمحلاته الفاخرة، والناس المارين فيه ذهاباً وعودة.

كانت تسكن بإحدى المناطق الراقية فى حى مدينة نصر، وتذهب الي مدرستها الواقعة أيضا في ذلك الحى.. جميلة جداً هى، تسر كل من ينظر إليها، متأملا بشرتها الصافية، وشفتيها الورديتين، وعينيها العسليتين، ويقف حاجباها كحارسين لتلك العيون العميقة الواسعة المليئة بالحب، والمفعمة بالآمل والتفاؤل ..

فى مقتبل العمر، تحب الحياة ودراستها، تعشق القراءة، كما تعشق كتابة ما يجول بعقلها. تكتب كلما دعتها الحاجة لتسجيل خاطر أو فكرة. تلجأ للقلم حين تصبح الحياة قاسية عليها، أو عندما تغمُرها الفرحة، محاولة تسجيل تلك اللحظات بكل ما فيها من مشاعر .

أسرتها بسيطة، هادئة مسالمة ومُحِبَّة للإسلام، الأم تلتزم بأداء الفرائض والسُّنن، وتداوم على قراءة القرآن الكريم، وفي بعض الأوقات تحضر دروس التفسير والدين في المسجد. رغم ذلك فالأم لم تلتزم الحجاب إلا في سن الخامسة و الثلاثين، بعد سماعها درسا للشيخ الشعراوي رحمه الله. في التسعينيات كانت هناك بعضُ السيدات اللاواتي يمثل الحجاب لهنَّ مجرد غطاءً على الرأس كوالدتها، كما أنه لم يمنعها من وضع مساحيق التجميل، وارتداء الفساتين القصيرة، تلك التي تغطى شبرًا واحدًا بعد الركبة.. موضة التسعينات لو تذكرون.

نشأت سلمى محافظة على الأذكار والصلاة في مواعيدها، وسماع قصص عن أخلاق الرسول والصحابة، منذ صغرها تحاول جاهدة أن تلتزم بالأخلاق الحميدة، أهلها دائمًا يساعدونها في ذلك، لكنها أبدًا لم تفكر في ارتداء الحجاب، خاصة أن حديثهم لم يكن يتطرق إليه، لم تكن تعلم أنه فرض إلا بعد ارتداء أمها للحجاب.

انتهت برشفة أخيرة مما تبقى من كوبها، ثم غادرت الشرفة للداخل، ملتقطة سماعة الهاتف، لتطلبصديقتها ديما لإيقاظها استعداداً للذهاب معاً

الى المدرسة، وأنهت المكالمة بعدما اتفقت مع صديقتها على الالتقاء في تمام الثامنة بدلا من السابعة والنصف، للذهاب معا كعادتهما الي المدرسة.

ديما الصديقة المقربة لسلمى، رقيقة الملامح بشعر مموج، وغمازتين تزيدان ابتسامتها بهاء فوق الوجنتين..تسكن معها فى نفس الشارع، ولها أخ يكبرها بعام، وأخت أصغر منها بثلاث سنوات، تحبهم ويحبونها. أسرة دافئة، متماسكة إلى أبعد الحدود، خاصة علاقة ديما بشقيقها و شقيقتها، فهما صديقاها المقربان، قبل أن يكونا إخوة.

ربما لكل ذلك أحبتها سلمى .. كانتا صديقتي طفولة، وظلتا كذلك بمرور السنين وتوالي المراحل الدراسية المختلفة، ما بين ابتدائية واعدادية وثانوية..

في المرحلة الثانوية، كان الحجاب يغلف رؤوس الكثيرات من أصدقاء سلمى، لكنه في تلك الفترة كان بعيدًا كلَّ البعد عن تفكيرها.. إلى أن تكلمت معها زميلتها خديجة المعروفة في المدرسة بالتزامها وتدينها.. وقالت لها إنَّ الحجاب فرضٌ ولا بدَّ للفتاة المسلمة أن ترتديه..

سلمى بالفعل مقتنعة أنه فرض ولكنها لم تقتنع أبدًا بأنه من الممكن أن ترتديه قبل أن تلتزم في ملْبسها، فهي ما زالت تلبس الجيبات القصيرة والشورت، وبالتالي، ففكرة الحجاب بالنسبة لها مؤجلة..

ذات يوم أحضرت خديجة لسلمى كتابًا عن الحجاب، قالت لها: إنَّ عليها قراءته بتمعُّن وتركيز قبل فوات الأوان. بالفعل بدأت القراءة، الكتاب

يتحدث بأسلوب الترهيب، مما جعلها تشعر بالخوف على عكس الكتاب الذى قرأته من قبل، فانتابها شعورٌ بأنها شديدة البعد عن الله تعالى. و قد أصبحت بالغة، ووجب عليها، شرعًا، أن ترتدي الحجاب وتلتزم بالملبس المحتشم الذي يداري مفاتنها. وحاولت أن تتناقش مع أهلها في ذلك الأمر..

استغرب والدها الخوف الشديد الذي يلون وجه ابنته، قرأتْ عن الجحيم وما أُعدّ للعصاة، والكتاب جعلها تفكر في جهنم، حاول والدها أن يُهدئ من روعها:

– سلمى يا حبيبتي، الحجاب فعلاً فرض وربنا إن شاء الله يكرمك بيه، بس أنا شايف إنك مش مستعدة للخطوة دي، الحجاب مسئولية ولازم تلتزمي بشروطه، مينفعش تكوني محجبة ولابسه ضيّق، مينفعش تكوني محجبة ولابسه قصير، خطوة خطوة وربنا يعينَّا جميعًا على طاعته.

حديثه هدأ من روعها، نظرتها تتفق مع نظرة أبيها. قالت لنفسها: إن خطوة الحجاب تحتاج بالفعل إلى خطوات تسبقها حتى تكون صحيحة..

وعندما جلست مع خديجة يومًا آخر، تناقشت معها في مضمون الكتاب، وأن الحجاب بعيدٌ عن تفكيرها في تلك الفترة، وأنها ستفكر في الأمر لاحقًا. فقالت لها خديجة:

– بعدين، بعدين امتى؟ كمان انتي ضامنة ييجى عليكي بعدين، ما انتي ممكن في أي لحظة تموتي، هتقابلي ربنا ازاي، وانتي متبرجة، طيب هتقولي لربنا إيه؟

ولأن سلمى بفطرتها تخاف الله، وترجو الجنة وتخاف من عذاب النار، أحست بالفزع من كلام خديجة، مما كان سببًا في سكوتها وعدم قدرتها على أن تتفوه بأي كلمة. فنظرت خديجة لها قائلة:

- ربنا يهديكي.

استمر تفكيرها في ذلك الموضوع أيامًا طوالا، و أخذت تفكر أكثر بكلام خديجة، فكلامها مخيف ومرعب.. ثم شُغلت بامتحانات الثانوية العامة، وتركت أمر الحجاب إلى أن يشاء الله..

انتهت المرحلة الثانوية، والتحقت ديما بكليه التجارة جامعة حلوان، أما سلمي فلم تتمكن من الالتحاق بكلية الإعلام التي كانت تتمناها، واختار لها مكتب التنسيق كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة عين شمس..

حزنت كثيرًا لأنها منذ صغرها تحلم بالعمل في مجال الإعلام وتحلم أن تصبح مذيعة مشهورة ومحترمة.. تقدم برامج هادفة تفيد الناس والمجتمع.. ولكن حياة الإنسان ومستقبله ليس ملك يديه يصرفه كيفما شاء...

إنها المشيئة التي لا دخل لنا فيها، فنحن نجتهد لكن ليس علينا إدراك النجاح.. الحياة تدفعنا إلى مسالك لو خُيّرنا بينها وبين ما نحب لما اخترناها وما سلكناها.. فالأمر ليس منه بُدٌّ.. وعلينا ألا نزدري ولا نستخف بأي مجال فربما يكون هو الأفضل..

رغم كرهها لدراسة الآداب، إلا أنها قررت أن تجتهد في كليتها، وأن تضع حلمًا آخر وهو النجاح بتفوق في دراستها التي اختارها الله لها، دون أن تتنازل

أبدًا عن حلمها في أن تصبح مذيعة يومًا ما، ولكن أصبح أمر الإعلام بالنسبة لها مؤجلاً إلى أن تنتهي من المرحلة الجامعية بنجاح..

وعندما التحقت بالجامعة، قابلت كثيرا من البشر، فهناك الفتاة المتبرجة التي لا يدل مظهرها أبدًا على أنها فتاة جامعية، وهناك الفتيات اللاوتي يرتدين النقاب ولا يظهر منهن سوى العين، وهناك من هم مثلها في الملبس وأيضًا لا يرتدين الحجاب، وهناك من ترتدي الحجاب دون مراعاة لملبسها الذي لا يليق به.. وهناك من ترتدي الحجاب بمفهومه الشرعي فهو لا يصف ولا يشف..

ونفس الحال بالنسبة للشباب فهم أشكالٌ وألوان، فمجتمع الجامعة مختلف تمامًا عن المدرسة، الجامعة عالمٌ آخر، تختلف شخوصه وتكويناته..

التحقت خديجة أيضا معها بكلية الآداب، في قسم آخر فلم تكن تراها إلا قليلا. وتعرَّفت في الجامعة إلى مجموعة من البنات والشباب الذين أحست أن تفكيرهم قريب منها، وسعدت جدًّا بتعرفها إليهم والقرب منهم..

معظم زميلاتها كُنَّ يرتدين الحجاب، ليس الحجاب الشرعي ولكن الطرحة القصيرة، والبنطلون والقميص، وكانت أخلاقهن عالية.. فهن مثلها ملتزمات بالصلاة، وتتعاملن باحترام مع الجميع..

هذه المرة، فكرت سلمى جديًّا في أمر الحجاب، فهي ترى أن كل ما تحتاجه أن تغطى ذراعيها، وأن ترتدي ملابس لا تكشف، والموضوع ليس صعبا.

.. وبالفعل ارتدته ..

وعندما ذهبت للجامعة تلقَّت التبريكات والتهاني من الجميع، وكانت سعيدة جدًّا بتلك الخطوة، وسعيدة أكثر بفرحة أصدقائها لها.. وفرحت أيضا ديما لها التى رأتها صدفة أثناء عودتها من جامعتها، و بالوقت و الدراسة أصبحت علاقة ديما وسلمى قاصرة في أغلب الأحيان على مكالمات هاتفية، على الرغم من أنهما تسكنان نفس الشارع، لكن مواعيد المحاضرات، و اختلاف جامعتيهما، وانشغال كلتيهما، جعل كل واحدة فى وادٍ منفصل عن الأخرى.

وذات يوم بعد شهر من حجابها قابلت خديجة بالصدفة، كانت تنتظر أن تراها بفارغ الصبر حتى ترى حجابها وتسعد به، ولكن للأسف لم يحدث ما توقعته، فخديجة عندما رأتها قالت لها بأسلوب غريب:

– ده مسموش حجاب يا سلمى، البنطلون الضيق ده مينفعش على الحجاب!

صُدمت سلمى من كلام خديجة، وأطرقت ذاهلة مندهشة، كمن يعي ما يسمع لكنه لا يُقرُّه أو يقبله، فلم تستوعب كل ما قالته بعد، ولم تسمع باقي حديثها لشدة صدمتها..

رجعت البيت باكية، متعجبة من هذا الأسلوب الفظّ، تساءلت: لماذا يوجد أناس تخصصوا في الهدم، بدلا من البناء؟.. لماذا يوجد أشخاص يحاولون نزع فرحتك والتقليل من شأنك ومن شأن أي شيء جميل تحاول القيام به؟ ثم لماذا يشعرونك بأنك ارتكبتَ إثمًا لا سبيل للتوبة عنه؟

ولكن سلمى حاولت أن تتجاهل كلامها، تعرف في قرارة نفسها أنها تسعى إلى رضى الله ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، ولكن من الصعب عليها أن تلتزم بكل الخطوات مرة واحدة..

فالله الذي هداها للحجاب قادر على زرع اكتمال الحالة في عقلها، وربما في الغد ستجد نفسها تلتزم التزاما كليا..

في نفس اليوم اتصلت بها خديجة واعتذرت لها على كلامها، وباركت حجابها، وعبرت عن حبها الشديد لها، لذلك فهي تريدها أن تكون من أفضل البنات وأكثرهم التزامًا..

ولكن فرحتها كانت حقيقية.. وكلماتها وتمنياتها كانت صادقة.. كانت جميلة الأسلوب، لمست قلب سلمى بكلامها الطيب، تهلل وجه سلمى وغمرتها السعادة . وكعادتها حين عادت الى البيت، أمسكت بقلمها والمفكرة الصغيرة التى تدون فيها ما تشعر به وكتبت :

"حقا، الكلام الطيب له أثرٌ طيبٌ في نفوس الآخرين، كالشجرة المثمرة، فالشجرة تؤتي ثمارها الطيبة، وتظلنا بظلها وتعطينا ما يلزم للحياة، فكما وهب الله الشجرة كل هذه المميزات فكذلك الكلمة الطيبة دائمًا مثمرة ونافعة.."

مرت الشهور، وتفوقت سلمى في السنة الأولى في كلية الآداب، جعلت كل تركيزها في كليتها ودراستها، فهى لا تهتم مثل بنات سنها بالحب والارتباط، ولا تهتم بالذهاب الى النوادي والكافيهات، هي فقط تهتم بأحلامها، وتفكر

في كيفية الوصول إليها بأي وسيلة متاحة. حلمها محدد، واضح، ولديها رغبة جامحة لتحقيقه مهما كلفها ذلك، وهذه الرغبة تملأ عقلها وقلبها..

واستمر نجاحها في السنة الثانية، وفي السنة الثالثة عرض عليها صديق والدها التدريب كمرشدة سياحية في شركته السياحية، فهو يعلم أنها تتقن اللغة الإنجليزية والفرنسية، واللغة الألمانية لديها ليست بالسيئة..

استبشرت ورحبت جدًّا بهذا العرض وذهبت إلى شركته السياحية، انبهرت بكل ما فيها، مظهر الموظفين، ولباقتهم في الكلام. وزاد ذلك الانبهار عندما بدأت تذهب إلى الأماكن السياحية بصحبة الأجانب والمرشدين الذين تعلمت منهم كثيرًا..

تعرفت إلى كثير من الجنسيات، فهناك سياح كانوا يأتون للتنزه في مصر أسبوعًا أو أقل، ولكن كانوا يظلون على تواصل معها حتى بعد عودتهم إلى أوطانهم. فوجود مواقع التواصل الاجتماعي سهل التواصل بين الناس في جميع البلاد، كأننا نعيش في مكان واحد وليست بلادًا متفرقة بعيدة كل البعد عن بعضها البعض..

تخرجت سلمى من الجامعة في الثالثة والعشرين من عمرها.. ولأنها متفوقة تفوقًا شديدًا التحقت بالعمل في شركة كبرى، لديها فروع كثيرة في كل أنحاء العالم. ولكن ذلك لم يمنعها عن رغبتها فى تحقيق حلمها فى مجال الإعلام، فكانت لا تتأخر عن تقديم سيرتها الذاتية لكل القنوات التي تفتح مجالا للتوظيف..

كانت صديقتها (سوليمر) التي عرفتها خلال فترة تدريبها في الشركة تُلح عليها كثيرًا لتذهب لقضاء بضعة أيام معها في إسبانيا؛ فكثيرًا ما حدثتها عن الأماكن الجميلة هناك، وعن جزر البليار وكنيسة العائلة المقدسة التي يأتيها السياح من كل أنحاء العالم. لكن سلمى دائمًا ما كانت تواجه الاعتراض من أبيها وأمها، بحجة أن تقاليد مجتمعنا لا تسمح للفتاة بأن تسافر بمفردها خارج البلاد..

وشاء الله أن يكون خالها ذاهبًا إلى هناك لمدة أسبوع لقضاء أعماله هناك، ومن هناك سيسافر إلى فرنسا أسبوعًا آخر فعرض عليها أن تذهب معه وتقضي أول أسبوع في إسبانيا معه ومع سوليمر وعائلتها على أن تقضى معهم النهار فقط وتتجه إلى الفندق ليلا للمبيت مع خالها، وتقضى ليلتها وتنام بالغرفة المجاورة له.

وبالطبع رحبت سلمى بالفكرة وساعدها خالها في إقناع أهلها بالموافقة..

أسعد لحظات حياتها عندما وافق أهلها على السفر، وأبلغت سوليمر أنها ستصل إسبانيا بعد بضعة أيام ..

وبدأت رحلتها إلى إسبانيا، التي غيَّرت فيها الكثير، حقًّا إنها بلد جميلة بكل ما تحمله الكلمة من معنى..

استقبلتها سوليمر في المطار، وذهبت معها هي وخالها حتى تترك حقائبها فى فندق " فينسي البيزن " الذى يقع في وسط غرناطه ويتميز بالطراز

الأندلسي"، على أن تكمل باقي اليوم معها، وبالفعل ذهبت سلمى معها إلى بيتها، وتعرفت على عائلتها..

تلقت سلمى ترحابًا لم تتلقه في أي مكان من قبل، قابلت والدة سوليمر سلمى بابتسامه عريضة مليئة بالإشراق والأمل، قابلها والد سوليمر وهو يحمل بعض الورود ليعبر لها عن فرحته بزيارتها لهم، أما أخواتها الصغار فقد استقبلوها بحفاوة بالغة..

ذهبت سلمى معها للنزهة ولمشاهدة بعض الأماكن الرائعة في إسبانيا، بدأت الرحله بجزيرة "إيبيزا" وهى جزيرة من جزر البليار، تقع جنوب إسبانيا وسط البحر المتوسط، تشتهر بحياة الليل والحفلات؛ حيث تحتوي على الكثير من النوادى الليلية، كما أن بها الكثير من المطاعم الساحرة التي تطل علي البحر..

استمتعت سلمى بالجزيرة ايما استمتاع، كما استمتعت أيضا سوليمر رغم أنها كثيرا ما قامت بزيارتها، لكن تلك المرة كانت مختلفة، لأنها معها صديقتها، مما زاد من فرحتها واستمتاعها بشواطىء الجزيرة الرملية وسمائها الزرقاء الصافية وبحرها الرائع الشفاف الذي يشبه الكريستال وموقعها المتميز جعلها غاية في الروعة والجمال، والطبيعة الساحرة والأجواء الممتعة كادت أن تنسيها عالمها تماما؛ عالم لم تحلم به يومًا، شعرت كأنها تتجول فى لوحة سحرية بالألوان الطبيعية..

ثم عرضت عليها سوليمر أن ينتقلا إلى شاطىء "سيس سالينيس" الذي يبعد حوالي ١٠ كم عن الجزيرة، ويعتبر من أهم الشواطىء فى إسبانيا، فهو

شاطىء طويل رمليّ دائمًا ما يقصده السائحون للاسترخاء والاستراحة من أي ضغوط، حتى أن كثيرًا من الزوجات في دول أوروبا يخافون أن يذهب أزواجهم إليها وحدهم، فهناك دراسة تسمى "رحلة الحب" أوضحت أن نسبة كبيرة من السيَّاح عندما يريدون نسيان حبيباتهم يلجئوا إلى تلك الجزيرة، كما أنها يطلق عليها أيضًا من قبل بعض الناس "عشّ الحب"..

وبعد يومين اصطحبتها سوليمر ووالديها إلى برشلونة لزيارة كنيسة "ساغرادا فاميليا" أو كنيسة العائلة المقدسة التي تعتبر نبض برشلونة، وتعد الكنيسة من أضخم الكنائس في أوروبا ..

ذُهِلت سلمى من ذلك الصرح الضخم ونظرت إلى صديقتها قائلة:

– أنا مش مصدقة يا سوليمر!! معقولة فيه أماكن في العالم روعة كدة!! كمان المكان فيه روحانية جميلة.

فابتسمت سوليمر قائلة إن ذلك الصرح الضخم مليء بتلك الروحانية؛ حيث إن المهندس المعمارى الذى قام بإنشائه "أنطوني جاودي" كان متمسكًا بديانته المسيحية الكاثولكية، مما جعله يُسَخِّر سنوات عمره فى تصميمات مميزة للكنائس، حتى أنه أُطلق عليه فى برشلونة "قديس الفن المعماري"..

مبنى الكاتدرائية ضخم جدًّا، وله ثلاث واجهات مختلفة هي واجهة الشوق، واجهة النصر، وواجهة المهد؛ فلكل واجهه تصميم مختلف عن الأخرى، وكل واجهة تحكي قصة مختلفة في حياة المسيح ..

كان ما لفت نظرها أكثر هو طبيعة الناس.. فالابتسامة لا تُفارق الوجوه.. والحياة مُفعمة بالحب، وعندما يعرف أحد أنها مصرية يزيد الترحاب بها والحديث معها عن حبهم لمصر، كانت سعادتُها .. أقربُ إلى يمامةٍ تتهادى في الفضاء الكبير ..

أوشكت الرحلة على الانتهاء ولم يتبقَّ سوى يومين فقط، اتفقت سلمى مع سوليمر أنهما سيقضيا يومًا في التسوق وشراء هدايا تذكار لأهل سلمى وأصدقائها، واليوم الآخر سيقضياه فى مدريد العاصمة لزيارة "القصر الملكي" أو كما يسمى " قصر ريا ل مدريد"..

وبالفعل قاما بقضاء اليوم _الذي يسبق سفرهما _في مدريد، فالقصر الملكي بمدريد هو المقر الرسمي للعائلة الملكية في إسبانيا، ولكنهم يستخدمونه فقط في الاحتفالات الدولية والمناسبات، وباقي الأيام مفتوح للجمهور لزيارته والاستمتاع به، فيعتبر قصر ريال مدريد تاني أكبر القصور فى أوروبا الغربية بعد قصر اللوفر..

انبهرت سلمى فور دخولها للقصر الذي تم بناءه بالحجارة البيضاء والجرانيت والرخام، والذي يتكون من ثلاث طوابق رئيسية إلى جانب ثلاث طوابق أخرى تحت كل طابق رئيسي، وبه العديد من النوافذ التى تزيد عن ٨٠٠ نافذة تطل على الفناء الكبير..

شعرت سلمى بعبق التاريخ من خلال ذلك القصر الضخم، فكان يحتوي على العديد من الغرف والقاعات التى تضم الكثير من التماثيل القديمة،

والأثاث والسجاد واللوحات الجدارية، إلى جانب المعارض التي تحتوي على لوحات فنية رائعة من بينها لوحات للفنان فيلاسكيز وكارافاجيو..

رأت سلمى خلال رحلتها لإسبانيا أخلاقًا راقية ورائعة لم ترها من قبل، رأت مساعدة جميع من حولها لها بحب واحترام..

في إسبانيا لا يوجد شخص يتدخل في حياة الآخر، لا يوجد تحرش رغم أن النساء تمشي شبه عارية في الشوارع العامة بكل حرية وارتياح.. هناك رقي وسمو في الأخلاق..

عرفت سلمى من سوليمر أن تلك البلد لا يوجد فيها ديانة محددة، فهناك الكثير من الملحدين وهناك أيضًا نسبة من الديانة الكاثوليكية التي تنتمي لها سوليمر، وهناك قليل من المسلمين ولكنها لم تلتقِ بهم خلال رحلتها..

عرفت أيضًا منها أن المدارس هناك تضع الطلاب بين خيارين، إما دراسة الدين الكاثوليكي كمادة دراسية، أو استبداله بمادة الأخلاق، فالأخلاق هناك تدرس في المدارس.. وتظهر فعلا في كل تعاملاتهم وصفاتهم..

رأت هناك الكثير من صفات المسلمين من السمو النفسي والتسامح والترحيب بالزوار واحترام النظام والقانون الذي يطبق على الصغير قبل الكبير، على الرغم من أنها لم ترَ أي شخص مسلم..

كانت دائمة المقارنة بين كل ما تراه هناك وبين ما تراه في مصر، رغم حبها وعشقها لمصر إلا أنها تمنت أن تعيش في مكان مثل هذا، أن تعيش في مكان يحترم حقوق الآخر، أن تعيش في مكان يوجد فيه عدالة وحرية واحترام..

أستعدت سلمى لمغادرة ذالك البلد الجميل الذى ذابت فيه عشقًا، وبعد أن جهزت حقائبها أمسكت بمدونتها وقلمها وكتبت ما تشعر به :

"مرَّ الأسبوع كأنه عدة ساعات، الأوقات الجميلة دائمًا تمر بسرعة رهيبة كسرعة البرق، لذا يجب علينا أن نستمتع بها قبل أن تمضي وتتركنا لأنها لا تعود بسرعة بل نظل ننتظر مثلها أيامًا وشهورًا وربما سنواتٍ، فهي تشبه النجوم عندما نبدأ بالاستمتاع برؤيتها تفاجئنا باختفائها مع خيوط الفجر الأولى على عكس الأوقات السيئة التي لا تمر من الأساس..

انتهت رحلتها في إسبانيا وسافرت مع خالها إلى فرنسا على وعد من سوليمر أن تأتي هي لزيارة مصر خلال الأشهر القادمة..

كان الاتفاق مع أهلها على أن طيلة الأسبوع في فرنسا ستقيم عند خالتها دعاء، فخالتها تزوجت منذ ثلاثين عامًا وسافرت إلى فرنسا ولا تأتي مصر إلا كل خمس سنوات مرة واحدة..

استقبلتها سارة ابنة خالتها في المطار، علاقتها بسارة سطحية جدًّا، عبارة عن بعض الرسائل من خلال البريد الإلكتروني في المناسبات والأعياد، "مع العلم بأن هذه العلاقة هي العلاقة العصرية التي تنشأ بين الناس والأقارب في البلد الواحد مع قرب المسافات بينهم" ورغم أن فارق السن بينهما ليس كبيرًا فهي تكبر سلمى بثلاث سنوات، حاولت سلمى كثيرًا في الماضي أن تتقرب منها وأن ترسل إليها الكثير من الرسائل لكن سارة كانت كثيرًا لا تجيب على رسائلها..

استقبلتهما سارة وهي ترتدي (هوت شورت جينز وبادي) بحمَّالة واحدة، سارة شديدة الجمال؛ شقراء وعيناها زرقاوتين، عندما وقعت عين سلمى على سارة فرحت كثيرًا، على عكس الحال من سارة التي استغربت سلمى وأسرعت على خالها واحتضنته، ونظرت نظرة مليئة بالاستغراب إلى سلمى، لم تفهم سلمى سر هذه النظرة، ولكن سرعان ما ابتسمت كلتاهما وتبادلتا السلامات والقبلات..

وفي الطريق رأت سلمى ما لم تره عيناها قط؛ فهم يسكنون بالقرب من شارع الشانزليزيه الشهير بالعاصمة الفرنسية باريس، طوال مدة الطريق وسارة تشرح الشوارع والأماكن الجميلة التي يمرون عليها، وتَعِد سلمى برحلة ممتعة خلال الأسبوع..

وصلوا إلى منزل الخالة، فهو منزل راقٍ مليء بالتحف الجميلة واللوحات المرسومة، لم ترَ سلمى خالتها منذ عشر سنوات، لكنها دائما ترى صورها عند أمها، فخالتها جميلة جدًّا وأنيقة في ملبسها، شعرها الذهبي الفاتح يزيد بشرتها البيضاء جمالاً، جلسوا سويًّا وكان وقتًا ممتعًا، إلى أن استأذن الخال حتى يباشر أعماله على أن يأتي لتناول الغداء معهم بعد يومين..

طلبت الخالة من سارة أن تصطحب سلمى إلى الغرفة التي ستقيم بها حتى ترتاح من تعب السفر، وذهبت سارة إلى مشوار ما على أن تعود بعد قليل لقضاء الباقي من اليوم مع سلمى..

ومرت ساعات اليوم وسلمى مستغرقة فى نومها، وعندما عادت سارة أيقظت سلمى من نومها، واستعدت للذهاب مع سارة لقضاء وقت ممتع، وعندما وقعت عين سارة على ملبس سلمى سألتها باستنكار شديد:

- انتى هتنزلي كده..

فنظرت سلمى لها بحيرة وقالت:

- مالي كده!؟

ظلت سلمى فى حيرة عندما صمتت سارة، سألت نفسها ترى ماذا تقصد سارة؟، هل ألوان الملابس غير متناسقة ؟، أم أن هناك شيء آخر؟ ولكنها سرعان ما أدركت أن نظرة سارة الاستنكارية لها بسبب حجابها..

نزلا سويًّا بعد تلك النظرات الصامتة، ذهبا إلى برج إيفل؛ فهو رائع فعلاً مثلما كانت سلمى تقرأ عنه، جلسا في الطابق الثاني به في مطعم "لو جون فيرن" كان منظر باريس من داخل البرج رائعًا، شيء خيالي من الجمال والروعة..

تحدثت معها سارة عن طبيعة عملها وعن حياتها في باريس، وإذا بشاب طويل يلبس حلقًا في أذنه ويأتي إلى جانبهما ويحتضن سارة ويُقبلها، لم تتعجب سلمى من ذلك المنظر فعملها كمرشدة سياحية عرفها على كثير من الثقافات، ولكنها لم تتوقع أن تكون سارة متأثرة بثقافة فرنسا لهذا الحد، ولم يجُل بخاطرها كل هذا الانسلاخ من العادات والتقاليد العربية التي تربت عليها بكل أشكالها ومظاهرها، ولكن حاولت أن تُخبئ دهشتها، عرفتها

سارة على مايكل وقالت لها إنه صديقها منذ الطفولة، وقضى الثلاثة وقتًا جميلا معًا ثم عادت سارة وسلمى إلى المنزل..

وفي اليوم التالي قررا التسوق في شارع الشانزليزيه الشهير، كانت سلمى سعيدة جدًّا بزيارة ذلك الشارع ولكن سعادتها للأسف لم تكتمل، فقد رأت بأم عينيها نظرات استنكارية من كثير ممن حولها، كانوا ينظرون لها على أنها شيء غريب، ليتها كانت نظرات استنكارية فقط، لكن هناك البعض كان ينظر نظرات استهزائية مقززة، كأنها صندوق من القمامة يسير بجانبهم..

لم تقوَ سلمى على التماسك وسالت دموعها وطلبت من سارة أن يعودا إلى البيت، ولأول مرة تشعر سلمى أنها ضعيفة الإيمان، كان عليها أن تكون فخورة بحجابها ولا تبالي بنظرت الآخرين، كان عليها أن تشعر بأن حجابها تاجٌ على رأسها، أن تكون متماسكة وفخورة بحجابها وفخورة أكثر بالتزامها بأوامر دينها وفروضه، ولكن للأسف لم يحدث أي شيء من تلك الأشياء.

حاولت سارة تهدئتها وشرح الأمر لها، أوضحت لها أنه منذ فترة وفرنسا والفرنسيون يكرهون الحجاب أو أي مظهر إسلامي، وأنهم يخافون من زيادة عدد المسلمين في البلد..

قالت لها إن ذلك المنطق العلماني لا يتحكم فقط في الشوارع ولكنه وصل أيضًا إلى المدارس والجامعات، فلا يحق للطلاب أن يظهروا بأي مظهر أو رمز ديني مثل الحجاب بالنسبة للمسلمات والصلبان الكبيرة التي توضع على الصدر بالنسبة للمسيحيين، والقلنسوة اليهودية بالنسبة لليهود، وقالت أيضًا

إن المسلمين يشعرون أن هذا القانون وُضِع مخصوصًا لمنع الحجاب ولكنهم حتى يتجنبوا الفتنة منعوا جميع المظاهر الدينية الأخرى..

تذكرت سلمى النظرة التي نظرتها سارة لها عندما رأتها أول يوم في المطار وأدركت مغزاها، فكانت تلك النظرة بسبب حجابها، لأن بالنسبة لبلدهم في تلك الأيام كان شيئًا مضطهدًا ويسبب الكثير من المشاكل..

أصبحت سلمى في حيرة فلم يتبقَ سوى أربعة أيام على انتهاء رحلتها وعودتها إلى مصر، ليس من المعقول أن تقضيها في البيت، سألت سارة إذا كانت هناك أماكن يمكن زيارتها ولا يؤثر مظهر الحجاب فيها، ولكن سارة أوضحت لها أنها السنة الثانية لهذا الاضطهاد، ومن الممكن أن تتعرض له في أي مكان تذهب إليه، شعرت سلمى بالحزن وبكت كثيرًا، واتصلت بخالها لتحكي له، ولكنه طلب منها تأجيل الكلام إلى أن يحضر ويتحدثا سويًّا..

والغريب في الأمر هو ما قاله لها الخال بخصوص ذلك الموضوع عند حضوره لهم، فقد قال لها:

- يا سلمى هما ٤ أيام فاقلعي الحجاب".

استغربت سلمى جدًّا من كلامه خصوصًا أنه على قدر كبير من التديُّن، كان يدرس الدين والفقه في الأزهر الشريف، عبرت سلمى بانفعال له عن رفضها لما يقوله وأنه يجب عليها الالتزام بدينها وحجابها، فضحك الخال قائلاً:

- ما الدين برضه هو اللى قال كدة!

نظرت إليه صامتة نظرة مليئة بالحيرة، نظرة تحتوي ألف سؤال، فأكمل كلامه قائلا:

– يا سلمى يا حبيبتي، ربنا أمر النساء بالحجاب عشان يكون سترة لهم ويحفظهم من المعاكسات أو إن حد يبصلهم، فدلوقتي الوضع مختلف، هنا لو لبستي الحجاب ده اللي ممكن يخلى الناس تضايقك بنظرتهم وتعليقاتهم وهيلفت نظر الناس ليكى لإنه غريب عليهم فطبيعى الكل هيبص على الشيء الغريب، فانا من وجهة نظرى شايف أن بالعكس انتى ملزمة إنك تقلعيه عشان تحفظي نفسك.

وبعد مناقشات طويلة بينهما، لم تقتنع سلمى بما قاله الخال، وقررت أن تقضي الباقي من الأسبوع بحجابها، لكن ليس من الضروري أن تذهب إلى الأماكن المزدحمة، والأهم أن تحاول ألا تهتم بنظرات من حولها..

انتهت رحلتها إلى فرنسا وعادت مع خالها إلى مصر، طيلة رحلة الطيران تدور في رأسها مئات الأسئلة فيما حدث معها .. تفكر في كلام خالها بخصوص نزعها لحجابها في فرنسا، وبعد التفكير الطويل لم تقتنع به بالمرة، فهي غير مُجبرة على نزع حجابها خصوصًا أنها في تلك البلد للنزهة ليس لأمر ضروري يضطرها أن تتعامل مع أهل البلد والمضطهِدين للحجاب..

وفكرت كثيرًا أيضًا فيما رأته من خالتها من عدم الالتزام بالحجاب أو الملبس المحتشم على الرغم من أن جدها رحمه الله كان عالمًا من علماء الأزهر، وأن أمها وخالتها تربيَا على الأخلاق والدين، ثم تذكرت أمها فهي أيضًا لم

ترتدِ الحجاب إلا بعد سن الخامسة والثلاثين وكان جدها على قيد الحياة، كيف كان الجد يرى ذلك ولا يتكلم وهو رجل الأزهر الذي يُعلم الدين للناس، كيف له أن يكون شيخًا كبيرًا وابنته لم ترتدِ الحجاب وتلتزم بتعاليم الدين، أسئلة كثيرة دارت برأسها ولم تجد لها إجابة شافية..

بدئت سلمى فى قراءة كتاب جديد، وبعد أن قرأت عشر صفحات أحست بممل شديد فأرادت أن تغير من ذلك الشعور، أغلقته ووضعته جانبا وأخذت تبحث عن مدونتها الصغيره لكن لم تجدها، فتناولت قلما وأقرب ورقه لها وبدئت في كتابه ما يجول في خاطرها :

" إن معرفة الدين وتطبيقه تختلف من شخص لآخر.. فنجد من الناس من يعرف الدين جيدًا ولكنه لا يطبقه رغم أن بعض هؤلاء الأشخاص بارعون في الحديث عن الدين وهم لا يلتزمون بتعاليمه، ويوجد من الأشخاص من لديهم حماسٌ كبيرٌ نحو الدين ويحاولون تطبيق كل شيء رغم أنهم لا يعرفون الكثير عنه.

بعد عودتها مصر.. كان أول ما قررت فعله هو الذهاب لدار الإفتاء لمعرفة رأي العلماء في كلام خالها، وهل يجوز لها خلع الحجاب في البلاد التي تضطهد المحجبات، وأجابت دار الإفتاء بأنه لا يجوز خصوصًا أنه لا توجد ضرورة من تواجدها في تلك البلد.. ارتاحت سلمى وحمدت الله الذي هداها أن ترفض كلام خالها ولم تعمل به..

وبعد أيام .. ذهبت سلمى لزيارة ديما صديقتها، فمنذ خمس سنوات بدأت تضعف العلاقه بينهما أكثر وأكثر عندما تعرفت ديما على صديقة لها من الجامعة تسمى نرمين وأحبتها كثيرًا، فشعرت سلمى أن ديما تحاول الابتعاد عن كل الأصدقاء وتكتفي بصديقتها الجديدة.. لكن ذلك لم يمنعهن من التقابل كل فتره ..

وبعد أن كانت تراها سلمى مرتين أو ثلاث كلَّ شهر، أصبحت تراها مرة واحدة كل شهرين أو أكثر، لكنها تلك المرة تشتاق لها فاتصلت بها لتحدد معها موعدًا وتفاجأت عندما عرفت من والدة ديما أن ديما مريضة، فذهبت لزيارتها على الفور ..

وأثناء زيارتها لهم كانت ديما وأخوها وأمها يجلسون مع جيرانهم، سيدة يبدو أنها في أواخر الخمسين من عمرها ومعها ابنها في أواخر العشرين، جلست سلمى معهم لمدة ربع ساعة، ثم أخذتها ديما وجلسوا في غرفتها.. تحدثا كثيرًا وحكت كلٌّ منهما عن أخبارها الجديدة.. حكت ديما لسلمى عمَّا تشعر به من مشاعر جميلة تجاه عمرو صديق محمد أخيها..

لكن سلمى استغربت كلامها فما تعرفه أن ديما مرتبطة عاطفيًّا بشخص آخر يدعى هيثم وهو أيضًا صديق محمد أخيها.. وعندما سألتها هل تركت هيثم فكان ردها:

– والله يا سلمى زى ما أنتى عارفه أنا عمري ماحبيت هيثم، لكن أنا كنت شايفه أنه بيحبني جدًّا عشان كده ارتبطت بيه، وطول ال ٦ شهور فترة ارتباطنا مقدرتش للأسف أحبه، فأنا قررت إني إن شاء الله هابعد عنه.

قالت لها سلمى مستفهمة :

– طب وايه اللي مخليكى مستمره فى لموضوع ده ؟؟ .. ماتقوليله ؟؟

– مش عارفة أجيبهالوا ازاي .. هيثم متعلق بيا أوي يا سلمى .. محتاجني أوي .. تقدري تقولي كدا اني بالنسبالة حياة .. كل ما أجي أصارحه تقولي لأ استني .. مش دا الوقت المناسب ..مش عايزة أكون سبب في جرحه ..

– يا بنتي بس انتي كدا مع الوقت هتجرحيه أكتر ..

فدار في رأس سلمى سؤال، بما أن هيثم وعمرو أصدقاء محمد أخيها فهل كليهما يعرف الآخر، ووجهت السؤال لديما فتنهدت ديما وقالت:

– هيثم أنتيم عمرو.

ذُهلت سلمى مما قالته صديقتها، فكيف تُعجب بشخص على علاقة قوية بالشخص الذي ترتبط به، وكيف لها أن تعجب بشخص من الأساس وهي على علاقة بآخر، وأحست أنها لا تفهم شيئًا فسألتها إذا كان إعجابها بعمرو متبادلاً، أم أنها تعجب به وهو لا يعلم شيئًا، فقالت لها ديما إنها معجبة جدًّا به وتشعر أنه يبادلها شعورها، ولكن لأنه يعرف جيدًا أن هيثم صديقه يعشقها فهو يحاول أن يداري مشاعره، ولذلك هي تتمنى أن تنهي موضوع هيثم سريعًا لعل وعسى يعترف عمرو لها بحبه.. فقالت سلمى بنبرة صوت حزينة:

– بس يا ديما حتى لو كلامك صح وهو معجب بيكي، ممكن أوي لما تسيبي هيثم برضه ميفكرش في الارتباط بيكي لأن صاحبه بيحبك.

صمتت ديما كأنها لم تفكر في كلامها من قبل وقالت لها:

– والله يا سلمى أنا مش عارفة بكرة فيه إيه، بس أنا حاسة أوي إن هو بيحبني، ومش عارفه ليه حاسة انه هيكون من نصيبي من أول يوم شفته فيه ومن قبل حتى ما اعرف أي حاجه عنه أو حتى اسمه، عامة يا سلمى أنا كل اللى بفكر فيه دلوقتى أزاى هاقدر أنهي موضوع هيثم من غير ما أجرحه.

أنهت سلمى معها الحوار متمنية أن يرزقها الله الخير وحسن التصرف، عندما عادت سلمى إلى المنزل، وأثناء ركنها السيارة عند باب العمارة فوجئت بأخيها سيف وهو يمسك بسيجارة في يده، وعندما لمحها ألقاها في الأرض سريعًا، كان يظن أنها لم تره ولكنها رأته وحزنت كثيرًا..

هل تغير شقيقها الى وكبر فى السن إلى حد شرب السجائر؟؟، أم أنه جرب شربها ليعرف مذاقها فاستهواه حتى أدمنها، أم أنهم قرناء السوء الذين يُحرضون غيرهم على القيام بهذه العادة السيئة، أم أنها قلة الوعي الديني والاجتماعي بخطورة هذه العادة المَقيتة، بالفعل لم يصبح سيف الصبي الصغير الذي كانت تخرج من المنزل تتسحب على أطراف أصابعها حتى لا يراها ويبكي لتصطحبه معها، لقد كبر وأصبح في السادسة عشر من عمره..

أخذت تفكر كثيرًا فيما يجب عليها أن تفعله، هل تُخبر أمها وأباها بما رأته وهما يتوليان التصرف معه، هل تصمت وكأنها لم ترَ شيئًا، هل تتحدث معه وتحاول نصيحته، وهل إذا قدمت له النصيحة سيتقبلها منها، فهو بعيدٌ كل البعد عنها، هما إخوة في شهادات الميلاد فقط ولكن لم يحدث يومًا أن خرجا

سويًّا دون أبيهما وأمهما، لم يحدث أن تحدثا سويًّا في مشكلاتهما أو تبادلا الأفكار..

شعرت سلمى بتقصير كبير تجاه أخيها سيف فهي أخته الكبيرة وكان يجب عليها أن تأخذ الخطوة الأولى في التقرب منه، قررت ألا تقول له شيئًا عن موضوع السجائر، وأن تحاول أولاً أن تتقرب منه وتكسب ثقته حتى يكون من السهل عليها أن تنصحه وأن يتقبل نصيحتها..

وبالصدفة وأثناء عملها عرفت أن هناك رحلة لأسوان رشحها مديرها لها حتى تقوم باصطحاب الفوج السياحي، ففكرت أن تقول لسيف ويأتي الرحلة وبالتالي تكون فرصة مناسبة لتتقرب منه..

فعندما عادت إلى المنزل، كان سيف بغرفته، فدخلت إليه ولكنه لم يشعر بها، جالس منكبًا على جهاز الكمبيوتر، ويضع السماعات في أذنيه ومنهمك في اللعب عليه، فقالت له وهي تضع يدها على كتفه:

- إيه يا سيف يا حبيبى، أنا بقالي ٥ دقايق جمبك، أنت مش حاسس بيا؟

فضحك سيف وهو يرفع السماعات من على أذنه وقال:

- سورى يا سلمى، أصل صوت الأغنية عالي أووى فمخدتش بالي، عاملة إيه؟

وبعد أن اطمأنا على بعضهما قالت إن هناك رحلة لأسوان وإنها تتمنى أن يكون معها، وكان رده:

- قشطه لو صحابى فاضين نطلع كلنا.

- تمام، ولو يعنى مش فاضين مش هتيجى معايا؟

- إن شاء الله يكونوا فاضين وينفع، انتي هنكوني مشغولة عني، فهيكون أحسن لو اصحابي معانا.

فقالت له بغيظ:

- تمام مفيش مشكلة.

وشرح لها إنهم بنتين وولدان غيره، فأوضحت له أنه لا توجد أي مشكلة لكن عليه أن يتأكد أولاً منهم، وأن يأخذوا الموافقة من أمهاتهم، ثم يقول لها الأسماء حتى تسجلها في الرحلة، شعرت من نظرته أنه مستغرب الموقف لأنها أول مرة تصطحبه معها لرحلة، أو حتى تفكر في الخروج معه، ولكن في نفس ذات الوقت شعرت أنه سعيد جدًّا بذلك..

ذهبا إلى الرحلة وكان أصدقاؤه معهما، كانت سلمى تقضي بعض الوقت مع الفوج السياحي والباقي مع سيف وأصدقائه.. وعرفت أن سيف يرتبط عاطفيًّا بزميلة له في المدرسة تسمى "شهد" والغريب أنها عرفت أنه يرتبط بها منذ أكثر من ثلاث سنوات، وأن أمها على علم بالموضوع هي وأباها.. شعرت حينها أنها بعيدة كل البعد عن أهلها وأخيها، أحست للمرة الثانية بتقصيرها تجاههم، يبدو أن انشغالها بالعمل وبتحقيق طموحاتها أنساها أن لها أهلاً وأخًا لهم عليها حق..

شهد بنت جميلة وعلى خلق، شعرت سلمى أن حب سيف وشهد قويٌّ جدًّا رغم صغر سنهما، الحقيقة رغم أن سلمى في السادسة والعشرين من عمرها، إلا أنها لم تجرب الحب بعد ولم تفكر في الارتباط من الأساس.

تحدثت مع سيف وكانت أول مرة تتكلم معه في مواضيع خاصة، أول مرة تقترب منه بذها الشكل:

– أنا فاكر أن ماما قالتلك عن شهد، هي معايا في المدرسة من وأنا صغير بس محبناش بعض غير من ٣ سنين، وأنا قولت لماما من سنة تقريبًا وقابلتها بطنط نهلة والدة شهد في النادي.

فقالت له وابتسامة تزين شفتيها

– بس مش شايف يا سيف أن لسه بدري أوي، وأن أصلا انتوا صغيرين وده سن مراهقة، ممكن أصلاً مشاعركم تكون مش صح، وميكنش اللي بينكم ده حب؟

جاوبها سيف بابتسامة مماثلة:

– لما ابقى عايش ٣ سنين مش بشوف غيرها أبقى بحبها، لما ابقى بأحسِّن من نفسي عشان أكون جدير بيها أبقى بحبها، لما اجتهد في دراستي وحياتي عشانها أبقى بحبها، لما اتخيل أنها أم لأولادي أبقى بحبها، أما أحافظ عليها حتى من نفسى عشان ربنا يكتبلنا الخير وتكون من نصيبى ابقى بحبها.

استغربت سلمى من كلام سيف، كيف لشاب في سن السادسة عشرة أن يقول من قلبه كل هذا الكلام بكل ذلك الإحساس.. شعرت بحبه لشهد من كل كلمة قالها ومن نبرة صوته ومن نظرات عيونه، فرحت جدًّا بذلك الحب، وفرحت أكثر باقترابها منه وكلامها معه..

وأثناء حديثها معه، أخرج من جيب الجاكت الخاص به علبة السجائر وقال لها:

- يضايقك لو شربت سيجارة؟.

ولكنها نظرت إليه دون أن تتكلم فقال لها:

- أكيد مش هتقولى لماما وبابا، صح؟

- أكيد مش هقول، بس ليه كده يا سيف السجاير مضرة جدًّا وأنت لسه صغير أوي؟

فقال لها سيف:

- أولا أنا مش صغير يا سلمى والكلمه دي كررتيها كتير، ثانيًا انا اتعودت عليها خلاص.

نظرت إليه باستغراب

" أتعودت عليها؟، انت بقالك قد إيه بتشرب سجاير؟

فقال لها:

- من سنتين تقريبا.

ذُهلت مما سمعت، سنتين؟؟ بمعنى أنه بدأ في التدخين في سن الرابعة عشرة، كل تلك الفترة وهي لا تعرف ولا أبوها وأمها يشعران بشيء، ظلت في صمت تسأل نفسها ما الذي دفعه لشربها، هل أصدقاء السوء، أم أنه

مرَّ بمشكلة ما وتخيل أنه من الممكن أن تنسيه السجائر إياها كما تصور لنا الأفلام الهابطة في السينما، لكنها كتمت كل الغضب داخلها لأن مثل هذه المواقف تحتاج منا إلى التريُّث والهدوء حتى نستطع التعامل مع الأمر وقالت له باختصار:

– بص يا سيف أنا مش هقولك السجاير بتموِّت أو زي ما مكتوب عليها بتؤدي إلى الوفاة، لأن كدة كدة أعمارنا مكتوبة عند ربنا، بس الفرق إنك تختار، تحب تعيش العمر ده وأنت تعبان ومريض ولا تعيشه وأنت بصحتك؟

رد سيف بعد أن ضحك على كلامها:

– طيب ما أنا ممكن ما اشربش سجاير وأعيش مريض، وممكن أشربها وتفضل صحتى كويسة؟

فقالت له:

– كلامك صح وكل حاجه بإيد ربنا، بس برضه ربنا قال "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة".

فهرب سيف من إكمال الحديث متحججًا بأن عليه أن يذهب إلى شهد لأنها تنتظره..

خلال تلك الرحلة تقربت سلمى كثيرًا من سيف وأصحابه، شعرت أنهم يسبقون سنهم بأفكارهم وتصرفاتهم.. فجميعهم مرتبطون عاطفيًّا بفتيات من نفس سنهم تقريبا، وجميعهم يشربون السجائر ويفكرون في إقامة المشاريع والاعتماد على النفس في المصاريف حتى لا يكلفوا أهلهم شيئًا..

انتهت الرحلة على اتفاق بينها وبين سيف أن يصبحا صديقين مقربين، وأن يجدها دائمًا بجانبه في كل وقت.. وأخذت سلمى تدون فى مفكرتها :

"حقًّا! العائلة هي أغلى ما يملك الإنسان، والإنسان العاقل لا يفرط أبدًا في تلك اللحظات الجميلة التي يقضيها مع عائلته ويحاول جاهدًا أن يكون بجانبهم أطول وقت ممكن، ويعمل ما بوسعه لإدخال السرور إلى قلوبهم فهم أحق الناس بذلك.

عادوا إلى القاهرة، وسمعت من ديما أن هناك قناة فضائية تبحث عن وجوه جديدة، فتجدد لديها الأمل الذى كاد يتحطم، وانفتحت لها نوافذه التي كانت موصدة منذ وقت بعيد، فكثيرا ما توجهت للكثير من القنوات الفضائية دون جدوى حتى إنها منذ أكثر من عام لم تقدم في أى قناة، فأحضرت السيرة الذاتية لها واتصلت بهم وتحدد معها موعدٌ للمقابلة.. مشكلتها مع القنوات الفضائية أنها ذهبت كثيرًا للتقديم في العديد منها ولكنها لم تستطع مقابلة أي من المسؤولين، دائمًا ما تقابل مصورًا، أو أحد أفراد المونتاج، أو موظف الاستقبال ودائمًا تتكرر نفس الجملة:

- سيبى السي في وهنكلمك.

ولا يتصل بها أحد، تتذكر أنها يومًا قدمت أوراقها في قناة فضائية كبيرة وجلست هناك من التاسعة صباحًا إلى الثامنة مساءً على أمل أن تقابل أحد المسؤولين دون أي فائدة، فقال لها مساعد مصور هناك:

- بصى يا بنتى أنا مش عايز أحبطك، بس المجال ده صعب لو ملكيش واسطة وواسطة كبيرة كمان صعب تشتغلى فيه.

ولكنها لم تيأس ولم تهتم بذلك الكلام المحبط، صحيح أنه لا يوجد لديها وساطة تساعدها في تحقيق حلمها، ولكن الله قادر على تحقيق أمنياتها حتى لو رآها البعض مستحيلاً..

ذهبت إلى مكان المقابلة، وقبل دخولها فتحت حقيبتها وأخرجت مدونتها كاتبه : "لن يمنع الله عنا شيئًا نتمناه ما دمنا ندعوه بصدق ونثق في إجابة دعائنا ".

وكان مدهشا أن اختارتها اللجنة هي وثلاث أخريات من بين ١٥٠ فتاة قامت ب"test camera"، وهو اختبار أمام الكاميرا، يقوم المتقدمين بتقديم جزء أو مقدمة من برنامج، حتى يتم الحكم على مظهرهم ونبرة صوتهم، وجاء الموعد المحدد لمقابلة صاحب القناة.. وبعد أن تحدث معها ولاحظت إعجابه الشديد بها قال:

- بس فيه حاجة صغيرة، أنتى لازم تقلعي الحجاب.

بالطبع رفضت، ولكنه أكد لها أنه ليس بالإمكان أن تكون مذيعة معهم في القناة وهي ترتدي الحجاب، وعندما صمتت قال لها إنه سينتظر ردها خلال يومين..

خرجت من القناة والاستوديو وهي حزينة جدًّا.. منذ أكثر من ست سنوات وهي دائما تتردد على القنوات الفضائية على أمل أن تبدأ في تحقيق حلمها، وعندما تأتي لها الفرصة.. تضيع منها بسبب ارتدائها الحجاب..

ضعفت سلمى جدًّا تلك اللحظة؛ شعرت أن حجابها عائق لها، ويمنعها من تحقيق ما تصبو إليه.. وفي نفس الوقت هي تحبه وتقتنع به ولا تقبل أبدًا أن تخلعه..

استمرت حيرتها طيلة اليوم، هي لا تفهم نفسها جيدًا، هل هي فعلا متمسكة بحجابها لاقتناعها التام به ؟، أم أنها تخاف من كلام من حولها وأنهم سيقولون أنها خلعته حتى تكون مذيعة؟، أم تخاف من رد فعل أمها وأبيها لأنهما كانا رافضين لحجابها في أول الأمر؛ خوفا منهما أن يأتي اليوم الذي تنزعه فيه، ذهبت إلى أمها لتحكي لها ما حدث وكالعادة كانت أمها تسمعها دون أن تتكلم، بعد أن انتهت سلمى من كلامها قالت الأم:

– إنتي حرة يا سلمى، انتى مش صغيرة وتقدري تأخدي قرارك بنفسك، بس لما بتكوني محتاجة حاجة من مديرك بتحاولي قوى ترضيه وتسمعى كلامه، ولله المثل الأعلى إزاي عايزة ربنا يستجيب دعائك ويحبك ويكون جمبك وانتي بتفكري تعصيه، هقولهالك تاني.. إنتي حرة.. بس أفتكرى أن من ترك شيئا لله عوضه خيرا منه.

فكرت كثيرًا في كلام أمها، واستغربت نفسها كيف ولو للحظة فكرت في أن تغضب الله حتى تحصل على وظيفة ما، لماذا ضعف إيمانها أمام فتنة من فتن الدنيا، هل لأن الإنسان في الأصل ضعيف، أم لأن حلمها قوي وسيطر تماما على تفكيرها؟، لا تعلم! ولكنها تعلم جيدًا كم تحب ربها وكم تتمنى رضاه عنها حتى وإن خسرت الدنيا بحالها..

هي على يقين أنها إذا أرضت ربها في تصرفاتها فسوف يرضيها بأكثر مما تتمنى، فهو يدخر لها خيرًا كثيرًا.. ولكنها أيضًا لا تفكر في إرضاء الله حتى تحصل على ما تريد فقط، هي تفكر في إرضائه لأنها تحبه..

مرت تلك الفترة، وانشغلت في عملها أكثر ورحلاتها السياحية أكثر وأكثر..

تحدثت إليها ديما واتفقتا على المقابلة.. كانت تريد التحدث معها، وسلمى أيضًا اشتاقت لها فمنذ أكثر من شهرين لم ترَها..

تقابلا معًا في مكانهما المعتاد، كانت ديما سعيدة سعادة بالغة، وسألتها سلمى عن سر تلك السعادة فقالت ديما أن هناك ارتباطًا عاطفيًّا بين محمد أخيها ونرمين صديقتها منذ أكثر من عام ونصف، وأخيرًا حدد محمد موعدًا مع أهل نرمين للمقابلة.. كانت سعادتها بالغة، ورغم أن سلمى تحب جميع الناس وتتمنى لهم السعادة وتفرح لفرح غيرها إلا أنها لم تشعر بالفرح بعد كلام ديما.. هي لم ترَ نرمين سوى ثلاث مرات ولكنها لم ترتحْ لها نهائيًّا، لا تعرف لماذا.. هل لأنها أخذت صديقة عمرها منها.. أم أن هناك سببًا آخر لا تعلمه..

هناك أشخاص لا تشعر بالراحة تجاههم رغم ارتياح الآخرين لهم، وهناك أشخاص لا يشعرون بالراحة تجاهك رغم ارتياحك لهم،.. نرمين كانت بالنسبة لسلمى من الأشخاص الذين لا تحبذ التعامل معها منذ أول لحظة رغم كل مميزاتها وكلامها اللبق، لكن سلمى لا تستطيع أن تحبها، وهذا

لا يعني أن نرمين سيئة، فكم من أشخاص تحبهم منذ اللحظة الأولى ولكنك تكتشف فيما بعد كم هم قبيحون..، وكم من الأشخاص لا تشعر بالراحة تجاههم ومع الوقت تكتشف أنهم من أفضل من قابلت في الحياة، لم تبين سلمى لديما أي شيء وباركت لها متمنية لهما كل السعادة.

ثم سألت سلمى صديقتها ديما عن آخر تطورات موضوع هيثم وعمرو فقالت ديما:

– مفيش أي جديد في علاقتى بهيثم، هو لسة فاكر إنى بحبه وأنا مش عارفة أغير له الصورة دي، دايما يكلمني ويجيلي النادي والشغل ومش قادرة أبدًا أجرحه أو أقوله إني مش قادره أحبه، فالوضع زي ما هو، وبالنسبة لعمرو فاحنا زي ما احنا أصحاب عادي، بس أنا حكيتله إني اكتشفت إنى مش بحب هيثم، ومستنيه الوقت المناسب عشان أسيبه.

سألتها سلمى عن رأى عمرو في موضوعها مع هيثم فقالت:

– هو شايفني غلطانة قووي، وأنى ما دام ناويت مكملش حرام أفضل معلَّقاه بيا، بس في نفس الوقت هو مقدر موقفي لأنه عارف قد إيه هيثم بيحبني وهيكون صعب عليه أوي لو سيبته، وبرضه شايف أن مينفعش تأجيل المواجهة أكتر من كده.

أحست سلمى وكأن هناك بركانًا من الدم ينفجر في عروقها، كيف لصديقتها أن تخدع هيثم أكثر من ذلك، منتهى الأنانية منها أن تعيشه في كذب وخداع، هيثم يعتقد أنها تعشقه كما يعشقها والحقيقة أن قلبها مع

شخص آخر، لم تكن سلمى قادرة على استيعاب موقفها الأناني السلبي، وعندما واجهتها بكل ما بداخلها، بكت ديما بكاءً شديدًا وقالت:

– يا سلمى أنتى مش فاهمة حاجة، أنا خايفة، خايفة اووى، أولا خايفه على هيثم لأنه متعلق بيا جدًّا زى الطفل الصغير ما بيتعلق بأمه، مش بس واحد بيحب واحدة، صدقينى هيتعب جدًّا وانا خايفه عليه من تعبه ده، اه مش بحبه كحبيب بس هو كشخص غالي عندي جدًّا ومهم بالنسبة ليا، فانا بحاول استنى الوقت المناسب ومش عارفه الوقت ده هيجي امتى، أنا والله متعذبة وحبه ليا معذبني، وفي نفس الوقت خايفة لما أنهي الموضوع هيثم ميكونش في حياتي، أنا نفسى يبقى جمبي كأخ أو صديق، وخايفه أوي لما أقوله اللى جوايا أجرحه جرح ملوش دوا وكمان أخسره للأبد.

اعتصر قلب سلمى ألمًا عند رؤيتها دموع صديقتها، لكن لم تغير سلمى رأيها ونظرتها، كيف تجرؤ ديما على هذا الخطأ الجسيم ؟؟، ومن أين تأتي بكل تلك المبررات؟؟

لا مبرر اطلاقاً لذلك .. ولولا معرفتها الطويلة بديما لظنت بها ظن سوء.. لكنها لم تفعل .. فهى تعرف جيدًا طيبة قلب ديما ؛ هي فقط تراها مخطئة في طريقة حسابها للأمور، فمن يرد كل شيء من الممكن أن يخسر في النهاية كل شيء، قلب ديما الطيب يحب وجود كل من أحبتهم بجانبها، ولكنها تعيش في عالم لا وجود له، كانت تفكر بقلبها وترى أن العلاقات يجب أن تستمر ولا تتوقف عند محطة إنهاء الإرتباط، لكن الحقيقة أن أغلب العلاقات العاطفية عندما تنتهي ينتهي معها كل شيء، حتى إنه من الممكن أن يرى

الطرفان بعضهما بعد سنوات طوال ويكتفيان بالنظرات من بعيد دون أن يُلقيا السلام.. فسلمى ترى أن من واجب ديما أن تخبر هيثم بالحقيقة وبأنها لا تحبه وتترك له حرية الاختيار في أن يظل في حياتها أم لا، وعليها أيضًا أن ترضى بقراره مهما كان، فمن حقه أن يتخذ القرار المناسب له ولقلبه، ليس القرار المناسب لأنانيتها..

وقبل افتراقهما وذهاب كل منهما إلى عملها، ديما وعدت سلمى أنها ستحاول جاهدة لإنهاء علاقتها بهيثم في أقرب فرصة ممكنة..

انتهى اللقاء، ومن بعده مرت شهورٌ اجتهدت خلالها سلمى في عملها، وفي إصلاح علاقتها بسيف. شعرت أنها خسرت كثيرًا طيلة السنوات السابقة ببُعدها عنه، فهو شخصية مرحة وجميلة، لديه أحلام وطموحات كبيرة تسبق سنَّه بكثير. لا تُنكر أنها استفادت من قُربها منه أكثر من استفادته هو، على الرغم من أنها هي الأكبر سنًّا وخبرة..

نجح سيف وشهد في المرحلة الثانوية، والتحقا سويًّا بكلية الهندسة جامعة عين شمس، الأمر الذي زاد من ارتباطهما أكثر. معا في الجامعة، و بعدها كثيرًا ما يستذكران دروسهما سوياً. صار حبهما أنضج من ذي قبل.

لكن للأسف نهلة والدة شهد أحست بأن سيف ليس بالرجل المناسب لابنتها، سيف في نفس سن ابنتها وكانت تتمنى أن ترتبط شهد بمن هو أكبر. تعتقد تماما أن الأكبر سنًّا سيكون أنضج فكرا ورؤية. وشهد تعلم كيف تفكر أمها، لكنها لم تُخبر سيف بهذه الأمور حتى لا يتعكر صفو العلاقة.

ولأن شهد تعتبر سلمى أختها الكبيرة فقد قصت عليها وجهة نظر أمها، لكنها فوجئت أن سلمى لم تشعر أن هناك مشكلة ما، فمن الطبيعي أن تخاف أية أم على ابنتها، وأن تتمنى أن تكون مطمئنة عليها مع من تراه مناسبًا. سلمى تثق أن سيف رجل بمعنى الكلمة فمن المؤكد أن أمها يومًا ما ستدرك ذلك فلا يكون هناك أية مشكلة. سلمى نصحت شهد ألا تخبر سيف و أن تظل معه في سعيهما للنجاح والتفوق حتى يتمكن سيف من خطبتها رسميًّا وإقناع والدتها به.. وفعلا اقتنعت شهد بكلامها ولم تتأثر علاقتها بسيف بل ازدادت قوة وثباتًا..

وبعد أيام قليلة.. وعندما كانت سلمى مشغولة بموضوع أخيها وخائفة من أية تطورات غير مستحبة، جاءتها مكالمة من ديما صديقتها تبكي فيها بكاءً شديدًا وطلبت منها أن تستأذن من العمل وأن تقابلها في أمر مهم. وبالفعل ذهبت سلمى إليها وتفاجأت بانهيار ديما وبكائها وتلك أول مرة تراها سلمى على ذلك الحال..

قالت ديما و هي لا تكف عن البكاء أن هيثم واجهها بحبها لعمرو، وقال لها: إنه متأكد من ذلك، وأنه عرف بأنها تتحدث إليه كثيرًا وأن بينهما مكالمات طويلة..

استغربت سلمى كلامها، وسألتها: إذا كان عمرو هو من قال له؟ ولكنها أجابت:

– لا عمرو مقالش حاجة، اذا كان أصلا عمرو ميعرفش إنى بحبه، ممكن يكون حاسس بس أنا مقلتلوش حاجة زي دي، ولا هو قالي مشاعره من ناحيتي، وأنا بعد كلام هيثم ليا كلمت عمرو وحكيتله واستغرب أوي، ازاى

هيثم عرف إننا بنتكلم؟؟، عمرو شاكك في ممدوح صاحبه لأنه مرة كان جمبه واحنا بنتكلم، فأكيد ممدوح حكى لهيثم وهيثم فهم إنى بحب عمرو، أنا بجد مش مصدقة اللى حصل ومش عارفه أعمل أيه، هيثم كان بيتكلم معايا وصوته تعبان أووى ومصدوم، صعب أووى إنى أكون سبب وجعه، وهو دايمًا كان بيحاول يفرحني ـ منه لله ممدوح ليه يعمل كده..

مسحت ديما الدموع التي ملأت وجهها و استمرت في حديثها قائلة:

– عمرو اتصل بممدوح وسأله وممدوح أنكر أنه قال أي حاجه لهيثم وأنه مكلمش هيثم أصلا ولا شافه من أكتر من شهر.. بس طبعًا هو كداب وأنا وعمرو متأكدين أنه بيكدب.

كانت تتحدث بسرعة رهيبة وعصبية شديدة ـ طلبت منها سلمى أن تهديء، و لكن دون جدوى، و سكن الصمت بينهما نحو عشر دقائق. ثم سألتها سلمى عن رد فعلها من كلام هيثم؟ فقالت ديما: إنها أنكرت كلامه، وأكدت له أنها تحبه ولا يوجد أي شيء بداخلها تجاه عمرو.

للمرة الألف تختلف سلمى معها في تصرفاتها، كان من الممكن أن تستغل تلك المشكلة وتعترف له بأنها لا تحبه إلا مثل أخ أو صديق لكنها للأسف لم تفعل.. واستمرت في خداعه وحاولت إقناعه أنها تحبه ولا يوجد لديها أي نية لإنهاء ارتباطهما ..

لا تعلم سلمى لماذا لا تجرؤ ديما على ذلك بحجة منها أنها تحافظ على مشاعره ولا تريد أن تجرحه، رغم أنها لو بالفعل تريد له الراحة، فعليها

أن تواجهه بالحقيقة حتى لو تألم.. لأنه سيتألم أيامًا ثم ينسى، لكن بتأجيلها المواجهة فهي تزيد الألم، فألم الشك أمرُّ وأصعبُ كثيرًا من ألم الفراق..

حاولت سلمى أن تغير الموضوع حتى تهدأ ديما، فسألتها عن أخبار محمد ونرمين وهل تمت الخطبة أم لا؟ فأجابتها ديما: أنه تمت قراءة الفاتحة ولكن هناك بعض المشاكل بين محمد ووالد نرمين مما جعل محمد يشعر أن عليه إغلاق الموضوع..

تعجبت سلمى ما هي المشاكل التي يمكن أن تمنع اثنين بينهما حب من الزواج؟ فأوضحت ديما أن محمد رفض أن يحكي التفاصيل، لكن ما عرفته، أن هناك اختلافًا على كتابة القائمة، ولكن محمد رفض ذلك قائلاً لأهل نرمين:

– يعنى أنتوا هتأتمنوني على بنتكم، مش هتأمنوني على شوية عفش وشوية أطباق وكوبايات.

كان يرى أن ذلك الطلب لا يليق بهم، ولكن ليس ذلك كل شيء فهناك أمور أخرى لا تعرفها ديما ومشاكل أخرى بين نرمين ومحمد لا أحد يعرف عنها شيئًا..

أنهيا كلامهما بتمنى أن يكتب الله الخير لنرمين ومحمد أيًّا كان، وأن ينتهي موضوع هيثم على خير دون أن تتسبب له ديما في جرح أكثر من ذلك...

اختفت ديما بعد تلك المقابلة أكثر من شهر، ولم تعد ترى سلمى أو حتى تُحادثها في الهاتف، وانشغلت سلمى في عملها لدرجة أنها لم تكن ترى سيف غير دقائق قليلة في الأسبوع، وعندما شعرت سلمى أنه لا توجد أخبار عن

صديقتها، حاولت مرارًا أن تتحدث إليها ولكنها لم تجبها، شعرت سلمى بأن ديما تحتاج إلى فترة تجلس فيها مع نفسها.

وحين طالت فترة غياب ديما مع عدم ردها على هاتفها، ذهبت سلمى إليها في بيتها حتى تطمئن عليها..

قالت لها والدة ديما: إن الأخيرة تمر بحالة اكتئاب شديدة، ولا تُريد التحدث إلى أحد، وطلبت الأم من سلمى أن تدخل إليها غرفتها لعلها تحكي لها عمَّا أصابها، ولكن للأسف لم تتفوه ديما بكلمة واحدة..

طرق محمد أخو ديما باب الغرفة مستأذنًا أن يسمحا له بالدخول وبالطبع رحبت سلمى به، حاولت سلمى أن تفهم منه سر الحالة التي تمر بيها ديما فأجابها محمد:

- يا سلمى، كل الموضوع إنها قالت لهيثم أنها مش قادره تكمل، رغم أن الخطوة دي اتأخرت جدًّا وكانت لازم تحصل من زمان، حتى أنا كنت بقالي فترة بقولها لو مكسوفة تقوله إحساسها فأنا أقوله وهي كانت دايمًا بترفض، وللأسف هيثم تعب جدًّا بعد كلام ديما واعترافها أنها مش قادرة تحبه، وراح المستشفى وفضل فيها أسبوع في حالة انهيار شديد، وديما مصممة إن هي السبب في تعبه، ومن ساعتها وهي زي ما انتي شايفاها.

بكت ديما بكاءً لم تبْكه من قبل عند سماعها كلام أخيها، بكت إلى حدِّ انتفاض الرُّوح والجسد، فاحتضنها أخوها وعيناه تملؤهما الدموع..، هدأت ديما في حضن أخيها فأعطاها الدواء ونامت..

اتصلت سلمى بأبيها وأمها لتشرح لهما تعب ديما وتطلب منهما أن تقضي الليلة بجانبها، فوافقا. جلست سلمى بجانب صديقتها تنظر إلى ملامح وجهها الحزينة، تشعر أن هناك شيئًا خفيًّا لم تقله ديما، ليس الأمر فقط هو تعب هيثم أو جرحه، هناك جرح أكبر بداخل ديما، ظلت تفكر حتى أرهقها التفكير وغلبها النوم وهي تدعو لصديقتها أن يُريح الله قلبها..

وفى يوم آخر، جلست سلمى مع أخيها سيف في النادي بعد الانتهاء من عملها لتناول الغداء سويًّا، تود أن تعرف ما الذي يُغيره فمنذ فترة تشعر بأنه ليس كطبيعته، وبعد أن تناولا الغداء سألته سلمى عن سبب تغيره فقال:

– مش عارف أقولك ايه، هو مفيش حاجة محددة، بس حاسس إن شهد متغيرة معايا شوية. فسألته سلمى:

– ولِمَ هذا التغير؟

وكان رده:

– مش عارف، هي من شهرتقريبًا قالتلي إن مامتها شايفة اننا صغيرين وإن أنا بالذات صغير، يعني إني لسه في تانية جامعة وقدامي وقت عقبال ما اتخرج، لكن أنا بجد مش فاهم إيه الجديد، دى مامتها عارفة اننا بنحب بعض من أكتر من ٥ سنين، ومكنتش معترضة نهائي مش عارف إيه اللي غيَّرها، مش بس كده، شهد نفسها رغم أن تعاملاتنا زي ما هي وعلى طول مع بعض لكن أنا حاسس إنها من جوَّاها متغيرة خايف أووي تكون مامتها قدرت تأثر عليها بتفكيرها.

صمتت سلمى تفكر ماذا تقول، فهي تعلم من شهد تفكير الأم منذ فترة، ولكن كان الاتفاق ألا تقول شهد أي شيء لسيف، فلماذا قالت له: ولماذا هذا التوقيت؟ بادرت سلمى بالكلام قبل أن يلاحظ سيف شرودها قائلة:

– لا معتقدش، شهد بتحبك جدًّا واكيد مش هتتأثر بكلام مامتها، انت بس ركز في المذاكرة عشان خلاص الامتحانات على الأبواب وكلها ٣ سنين وتتخرج وتبقى باشمهندس قد الدنيا.

ابتسم سيف لأخته فهو يعلم أنها تحاول أن تخفف من حدة قلقه... وأثناء جلوسهما اتصلت والده ديما بسلمى وقالت لها: إن هناك شابًّا رأى سلمى منذ فترة بمنزل ديما ويريد الارتباط بها والتعرف عليها أكثر، استغربت سلمى من كلام أم صديقتها فهي لا تتذكر أبدًا أنه في يوم قابلت أي شخص في بيت ديما، ولكن بعد كلامها معها تذكرت ذلك الشاب الذي كان يجلس يومًا مع والدة ديما وأمه في يوم زيارة سلمى لديما... لم تجد سلمى ما تقوله، فهي لا تفكر في الارتباط، و لو فكرت في الارتباط فلن يكون بهذه الطريقة، فهو لم يرها سوى مرة واحدة فقط..

ولكنها طلبت منها أن تعطي لها فترة لتفكر في الأمر. أنهت المكالمة والتفتت لسيف وهي مندهشة قائلة:

– تصدق يا سيف جايلي عريس مشفنيش غير مرة واحدة، ومكنش كمان بينا أي كلام؟

نظر لها أخوها قائلا:

– وإيه الغريب، فيه ناس بتتقدم لبنات من غير ما تشوفها أصلاً عشان بس سمعوا عنهم ويعرفوا أهلهم.

سلمى تعرف جيدًا كلام سيف ولكنها كانت تظن أن هذه الطريقة في الأفلام فقط، ولا توجد في القرن الحادي و العشرين. وبعد الانتهاء من جلستهما ذهبا إلى البيت بعد أن أقنعها سيف أن تقابل ذلك الشخص، لعل وعسى أن يكون مناسبًا لها، خاصة أنها لا يوجد لها أي علاقة عاطفية بأي إنسان. فلمَ لا..؟

وبعد أسبوعين لم تقدر فيهما ديما على الكلام تحدثت مع سلمى هاتفيًّا وطلبت منها المجيء إليها، وبالفعل ذهبت اليها سلمى، وحكت ديما لصديقتها ما حدث تفصيلاً قائلة:

– أنا جوايا وجع كبير يا سلمى وعايزة أحكيلك، الموضوع مش بس إن هيثم تعبان، الموضوع أكبر من كده بكتير، أنا كدبت على محمد لما قولتله إني اعترفت لهيثم، الحقيقة هيثم عرف لوحده وهو اللى أنهى الموضوع مش أنا، هو اتصل بيا من ١٠ أيام تقريبًا عشان نتقابل وكان صوته متغير جدًّا، ولما اتقابلنا قالي إنه عارف كل حاجة، وعارف إني عايزه أسيبه وإني مش بحبه، واتهمني إن أنا وعمرو مرتبطين عاطفيًّا وبينَّا حب، والله الكلام ده محصلش يا سلمى والله ..

أنا وعمرو كلامنا طول الفترة اللى فاتت كان قليل جدًّا وكان كله إزيك وإيه الأخبار وبس، وعمرى ما قولتله إني بحبه ولا حتى لَمَّحت بده، لإني عارفه كويس إن مينفعش ده يحصل غير لو موضوع هيثم انتهى تمامًا، معرفش هو جاب الكلام ده منين، والغريب أنه عارف امتى باتكلم أنا وعمرو، وعارف المسدجات حتى بيكون فيها إيه مع إنى بقالي فترة مكنتش شوفت هيثم يعني مكنش بيشوف موبيلي ولا كان بيشوف عمرو عشان يشوف الموبايل بتاعه، أنا هتجنن لدرجة إني شاكه يكون تليفوني متراقب، أنا مش فاهمة أي حاجة، حاولت أوضحله إنه فاهم غلط بس للأسف ما ادانيش أي فرصة؛ الدموع كانت مالية عينه وأنا مكنتش قادرة أبطل عياط، فضل يتكلم كتير وأنا مش عارفة قدام وجعه أدافع حتى عن نفسي، لحد ما قالي جملة غريبة اووي.

سكتت ديما وهي تحاول أن تتماسك أمام صديقتها، فأمسكت سلمى بيدها وطلبت منها أن تهدأ، فأكملت ديما والدموع تتساقط من عينيها:

قالي "لو عايزة تسيبيني ومنكملش أوكي، بس أرجوكى بلاش تتجوزي عمرو، بلاش تتجوزي صاحبي"، وسابني ومشي، وأنا مش قادرة حتى أتحرك من مكاني أو أفتح بُقي، أنا بجد باكره نفسي، هو أكتر إنسان حبِّني في الدنيا، وأنا أكتر إنسانة وجعته وجرحته، حاولت بعديها أكلمه كتير مش بيرد خالص، قفل موبيله ومش عارفة أوصله، وبعديها بيوم عرفت من أخته أنه في المستشفى.

انهَتْ ديما حديثها وهي في انهيارٍ تام. سلمى تشعر بما ألَمَّ بصديقتها وكل ما تُفصِحُ به روحها، تعلم تمامًا بما في داخلها.. ففي داخلها عالمان يشتعلان،

إذ تشعر أنّها أوجَعَت إنسانا غاليًا قريبًا منها، والجرح ليسَ بهين، أوجعتهُ لأنّها تحبُّ رجلاً غيرهُ، والأشدُ قهرًا.. أن من تُحب هو صديق عمره!

والإحساس الثاني هو إحساس الظلم فهي أبدًا لم ترتبط بعمرو، ولم يكن بينهما أي شيء غير مشاعر لم يصرح أحدهما بها إلى الآخر.. لكن في كل الأحوال كانت سلمى ترى أن ما حدث كان يجب أن يحدث أيًّا كان الوجع أو الجرح.

حاولت سلمى التقرب من ديما هذه الفترة، و أن تبقى جانبها في أسوأ فترة تمر عليها في حياتها، تُنهي عملها سريعًا كل يوم وتذهب لتقضي بقية اليوم معها..

محمد أيضًا كان يرى أنه من البداية لم يكن هيثم مناسبًا لأخته، ولكنه عندما رأى تمسكها به وافق على ارتباطهما. وكان من المقرر خطبتهما رسميًّا بمجرد عودة أبيهما من السفر فهو يعمل في إحدى البلاد العربية، ولا يأتي مصر إلا شهرًا واحدًا في السنة ..

كانت ديما تعرف أخبار هيثم من أخته، عرفت أنه حتى بعد خروجه من المستشفى كان دائم التردد على الطوارىء، عندما كان يُغشى عليه فجأة ويحمله أهله إلى هناك، ولكن للأسف كل محاولاتها للاتصال به فشلت لأنه دائمًا ما يغلق هاتفه. ودائمًا ما يؤكد محمد أخوها عليها ألا داعي للاتصال به، ولكنها لم تستجب وحاولت الوصول إليه دون علم أخيها..

بعد أسبوعين من شفاء هيثم أرسل رسالة لديما كان محتواها:

"أنا أزاي كنت مخدوع فيكي كده وفاكرك ملاك بريء، وانتى أصلا واطيه، إيه اللى استفدتيه لما لعبتى بيَّا وبمشاعري، كده إنتي رضيتي

غرورك، كدة إنتي كسبتي رهانك مع نفسك إنك تخليني خاتم في إيدك، بعدين ترميني وتدوسي عليَّا، كإني سيجارة ولعتيها خدتي منها نَفَسين بعدين سبتيها تتحرق ورميتيها على الأرض ودوستيها بجزمتك، إنتي أبشع إنسانة قابلتها في حياتي، أنا على قد ما حبيتك على قد ما أنا باكرهك دلوقتي وباكره أي حاجة بتفكرني بيكي.. لكن أقسملك يا ديما إنك هتندمي أشد ندم على كل اللى عملتيه فيا، وأنا مش هسامح أبدًا في حقي"..

انهارت ديما بعد قراءتها لتلك الرسالة، كيف يمكن للاحترام والحب أن ينتهيا بإهانة وسب ولعن؟.. كيف يمكن أن يجرحها عمدًا، إذا كان في يوم أحبها حقًّا؟ وهي التي تتألم دائمًا وتشعر بالذنب تجاهه. وبالرغم من خطأ تفكيرها وخطئها فى حقه إلا أن نيتها لم تكن في يوم سيئة..

بعد تلك الرسالة قررت ديما ألا تحاول الاتصال به، هي كانت تحاول مكالمته لتخفف عنه وتعتذر له عن أي شيء، ولكن بعد إهانته وعدم اهتمامه بمشاعرها لم يعد للمكالمة أي معنى أو فائدة..

سلمى ترى أن هيثم معذور فى كلامه وإن كان جارحًا. فأي شخص في مكانه، سيقول ما قاله وأكثر، فديما أخطأت، وجرحته جرحًا ليس بهيِّن، ترتبط به وتحب آخر وهذا لا يقبله أي رجل على كرامته. سألت سلمى صديقتها ديما عن نرمين؟ لما لم ترها معها في تلك الظروف، فأجابتها ديما بأن موضوع نرمين مع أخيها محمد انتهى، وبالتالي فإن نرمين لا تزورهم ولكنها

دائمة الاتصال بها ومقابلتها خارج المنزل.. وسألتها سلمى عن رأي نرمين فيما حدث بين ديما وهيثم فقالت ديما:

– هي شايفه أن بعد إهانته ليَّا مينفعش أصلاً إني أفكر فيه ومحاولش أكلمه ولا أسأل عليه.

تلك الفترة كان عمرو من حين لآخر يتصل بديما ليطمئن عليها وعلى أخبارها، وقال لمحمد أخيها إنه يحبها من قبل أن ترتبط بهيثم، ولكن عندما عرف بارتباطها بصديقه فكان لا بدَّ أن يصمت ويتمنى لها السعادة، والآن وبعد انتهاء موضوع ارتباطها بهيثم فهو يريد الارتباط بها إذا وافقت على ذلك، ولكنه يريد من محمد ألا يقول لها شيئًا وينتظر فترة حتى تهدأ من إحساسها بتأنيب الضمير تجاه هيثم..

ومرَّ شهر والثاني، ثم فاتح محمد ديما في الموضوع، وكانت ديما تبكي وهو يتحدث إليها، لتذكرها كلام هيثم، فهي بالفعل تحب عمرو وتتمناه زوجًا لها، وفي نفس الوقت نظرة هيثم لها ودموعه وضعفه وهو يطلب منها ألا تتزوج صديقه تذبحها.. أقنعها محمد أن تنسى هيثم وتنسى ما قاله، وأنه ليس من العقل أن ترفض إنسانًا تحبه ويحبها، و هو زوج مناسب، ومتدين، من أجل لحظة ضعف مر بها هيثم..

اتصلت ديما بصديقتها نرمين وطلبت منها المقابلة في مكان ما؛ لأنها تريد أن تأخذ رأيها في بعض الأمور.. وعندما تقابلا وحكت لها ما حدث،

صدمت نرمين من تقدم عمرو لديما بهذه السرعة وتغير لون وجهها عندما سمعت بالخبر، مما لفت انتباه ديما لها قائلة:

- انتى مش فرحانة علشانا ولا إيه؟

فقالت نرمين:

- بالعكس أنا فرحانة اووي. بس ماتوقعتش إن ده يحصل وبالسرعه دي، على العموم عمرو إنسان كويس، إنسي هيثم وكلامه اللي قاله فى لحظه غضب وركزي في حياتك الجديدة.

ثم سألتها ديما عن سر تغيرها معها، فهي لا تتصل بها كل يوم كما كانت تفعل ولم يتقابلا دائما كما اعتادا، فجاء رد نرمين:

- متزعليش مني يا ديما يا حبيبتي، بس غصب عني، تجربتي مع محمد أخوكي تعبتني جدًّا، أنا حبيته ٣ سنين وبعدين سبنا بعض، فأكيد مش هاقدر أنساه في يوم وليلة ومحتاجة فترة عشان أقدر أنساه وأرجع طبيعية.

- طب أنا مالي بس باللي بينكم! يا نرمين احنا أصحاب واخوات من قبل ما ترتبطي بمحمد وهنفضل أصحاب على طول ولا إيه؟

فكان رد نرمين أنه بالطبع سيظلان أصحابًا وأختين طوال الحياة، واحتضنت كلٌّ منهما الأخرى وانصرفتا..

أما سلمى فقد حددت ميعادًا مع ديما ومحمد والشخص المتقدم وذهبت هي وسيف لمقابلتهم، ذلك الشخص يدعى "علي" طويل القامة، قمحي

البشرة ، له لحية خفيفة. لم تتذكر سلمى أن تلك اللحية كانت موجودة يوم اللقاء ببيت ديما أم لا، وبعد الحديث شعرت سلمى بأنه إنسان قريب إلى الله، وهذا شيء مهم بالنسبة لها لأنها تتمنى الارتباط بمن يُعينها على التقرب إلى الله ويأخذ بيدها للجنة.. ولكن ليس ذلك كافيًا فهي لا تعلم أي شيء عن أهله أو أسرته رغم كلامه عنهم، وهذا غير كافٍ أبدًا في مثل هذه الموضوعات..

تحدثا كثيرًا عن طبيعة عملهما، فهو طبيب في مستشفى ويحاول جاهدًا تجميع المال حتى يشارك صديقًا له في عيادة خاصة، وعندما جاء دور سلمى للحديث عن عملها، ظهر عليه عدم ارتياح لذلك، لأنه كان يستنكر كيف لفتاة أن تسافر إلى أماكن سياحية وحدها، حتى لو كان هذا السفر تحت إشراف عملها..

انتهت المقابلة، ولم تستطع سلمى خلالها تحديد موقف نهائي .. فهو إنسان مُريح، ولكن له بعض الأفكار المتشددة قليلاً، أما بالنسبة لعلي فقد خرج من اللقاء شديد الإعجاب بها رغم بعض التحفظات ..

وفي اليوم التالي قالت لها ديما إن عليًّا ينتظر ردها .. ويتعجل عليه .. لكن سلمى طلبت وقتًا للتفكير.. قضته ما بين دعاء واستخارة .. حتى استراح قلبها .. وتوكلت على الله .. ووافقت على مقابلة عليّ وأهله بأهلها..

وفعلاً تحدد موعد في بيت سلمى وتمَّت المقابلة، أهل عليّ أكثر تدينًا من أهل سلمى، فأخواته البنات مثلاً لا يضعن مساحيق التجميل ويرتدين العباءات على عكس سلمى وأمها، وأبوه يرتدي الجلباب وله لحية طويلة مخضبة بالحناء..

بعد المقابلة شعر أهل سلمى أن عليًّا فعلاً إنسانٌ رائعٌ ومناسبٌ، ولكن هو وأهله أكثر منهم التزامًا ولا يوجد مشكلة فى ذلك ..

بعد فترة من الزيارات العائلية وافقت سلمى على الارتباط بعلي، وتمت الخطبة في منزل سلمى دون موسيقى أو رقص، وذلك تم باتفاق بين عليّ وسلمى ..

خلال فترة الخطوبة حاول عليّ كثيرًا أن يُقرب سلمى من الله أكثر عن طريق اصطحابها معه للدروس والندوات الدينية وسلمى بطبيعتها لديها استعداد لذلك وسعيدة به.. وبالتدريج بدأت سلمى تحسن من ملبسها أكثر، وترتدي الحجاب الطويل وكان الجميع من أصدقائها وأهلها وزملائها في العمل يلاحظون تغيرها، حتى إنها أصبحت لا تصافح الرجال باليد وتكتفي بإطلاق جملة "السلام عليكم".

تعلقت كثيرًا بعليّ، وهو أيضًا أحبها جدًّا، وكانا متفاهمين إلى أبعد الحدود..

***

أجلت ديما خطبتها لعمرو لفترة حتى تهدأ وتستعيد نفسها، وراحت علاقتهما تكبر. وكانا دائمًا يلتقيان ويتحدثان في الهاتف، وفي يوم أثناء مقابلة ديما بنرمين صديقتها.. كانت نرمين ترتدي ملابس جميلة وأنيقة وتضع بعض مكياج يُظهر جمالها. كان وجهها مضيئًا في ذلك الوقت.. فرحت ديما عندما رأت نرمين سعيدة وسألتها عن سبب سعادتها فكان ردها:

- أنا ارتبطت يا ديما وان شاء الله هتخطب قريب!

صدمت ديما لأنها كانت على أمل أن تنصلح العلاقة بين نرمين ومحمد ولكنها حاولت إخفاء ذلك وراء ابتسامة قائلة:

– ألف مبروك يا حبيبتي حصل إمتى ده، وازاي متقوليش؟.

– الموضوع جه بسرعة أووي، أنا اتعرفت عليه من شهر في كورس الرسم اللى كنت بأخده، والموضوع مشي بسرعة مش عارفه ازاي، وهو شخص مناسب جدًّا ومحترم.

وأثناء كلامهما رن هاتف نرمين، فأجابت بارتباك، وهذا طبيعي لأن ديما حتى وإن كانت صديقتها فهي أخت الشخص الذي كانت تحبه ويحبها؛ فمن الطبيعي أن يكون هناك الكثير من الحساسية بينهما في مثل ذلك الموقف ..

تعتصر ديما من الداخل، فهي لم تتمنّ أبدًا لمحمد أخيها عروسة أفضل من نرمين، وتمنَّت كثيرًا أن يُصلح الله بينهما ويُتوَّج حبهما الكبير بالزواج، ولكن العناد سيطر على كليهما، وكأن هناك شيئا خفيا بينهما لا تعلمه ديما قسّى قلبيهما. من الممكن أن يكون اهتمام محمد بعمله كان بديلا قويا عن الاهتمام بنرمين، فدائما ما كان يُهملها، وهذا الشيء يجرحها ويسبب لها وخزا في الروح. ديما لم تفلح محاولاتها للإصلاح على الرغم من أنها كانت حريصة على ذلك، لذلك لم يكن بإمكانها سوى أن تظهر فرحتها لصديقتها التى تعتبرها على حق في كثير من الأمور، وأن محمد لم يكن يهتم بنرمين الاهتمام الكافي ولم يتمسك بها وبحبها. وقالت نرمين: إن عليها الانصراف لأن خطيبها ينتظرها في مكان آخر، فأسرعت ديما معها وأوصلتها بنفسها حتى

لا تتأخر على موعدها، وبعد أن أوصلتها إلى المكان الذي ستقابل فيه خطيبها رحلت باكية العين، تحبس دموعها منذ أن أخبرتها نرمين بموضوع الارتباط. وبمجرد أن نزلت نرمين من السيارة بعد ان انتهت من ضبط مكياجها، قادت ديما السيارة وهى منهارة حد البكاء..

بعد أن ذهبت ديما إلى المنزل قالت لمحمد أخيها إن نرمين ستُخطب قريبًا مما أثار ذهول محمد، كيف لها أن تُخطب بتلك السرعة، وقال متظاهرًا بالتماسك:

- ربنا يوفقها، هي حرة في حياتها.

ولكنه كان يُداري خلف تلك الجملة ألمًا شديدًا أحسَّت به ديما وأحسَّت به أمهما أيضًا، لكن كبرياء محمد كان يدفعه دائمًا لإظهار عكس ما بداخله..

وبعد ذلك اليوم أرسلت نرمين رسالة إلى ديما قائلة فيها:

- أنا دلوقتى بابدأ حياة جديدة، ولازم أنسى محمد وأي حاجة ممكن تفكرني بيه، أنا آسفه يا ديما بجد، بس أنا مضطرة أبعد عنك لأنك أخته وأكيد كل لما أكلمك أو أشوفك هافتكره، حاولت كتير أفصل بين أنك أخته وأنك صاحبتي بس مقدرتش، أرجوكي قدَّري موقفي وسيبيني على راحتي..

حزنت ديما حزنًا شديدًا عندما قرأت تلك الرسالة، ولكنها تمنَّت لصديقتها من كل قلبها السعادة، وقالت لها إنها ستُنفذ رغبتها، لكنها ستنتظر اتصالها في أي وقت، ظنًّا منها ألا أحد منهما يمكنه الاستغناء عن الآخر.

ومرَّ شهر دون أي مكالمات بينها، كانت ديما تفتقد نرمين جدًّا، فاتصلت بها ولكنها لم تجبْها، مما زاد قلقها فاتصلت مرة أخرى دون أي فائدة أيضًا، ثم اتصلت بأخت نرمين التي قالت لها إن نرمين نائمة، وطلبت ديما منها أن تبلغها عندما تستقيظ أنها تريد محادثتها..

ظلَّت ديما طوال اليوم تنتظر مكالمة نرمين بلا فائدة، ففهمت أن نرمين لا تريد محادثتها..

وبعد فترة قصيرة قررت ديما الموافقة على الارتباط بعمرو رسميًّا، كانت سعيدة جدًّا به فهو الإنسان الذي حلمت به يشاركها حياتها، وعندما عرف هيثم بارتباطهما، حدث ما لم يتوقعه أحد، اتصل هيثم بعمرو وطلب منه المقابلة وبالفعل ذهب إليه عمرو، فبدأ هيثم كلامه بسؤال عمرو عما إذا كان بالفعل ارتبط بديما أم أن ما سمعه ليس صحيحًا؟ وكان رد عمرو:

– أيوه يا هيثم ارتبطنا وإن شاء الله هنلبس دِبَل يوم الخميس وكتب الكتاب بعد سنة عشان زي ما انت عارف والد ديما مسافر فاحنا ملتزمين بمواعيد أجازاته.

كان هيثم يسمع كلام عمرو صامتًا ومتأثرًا جدًّا، ولاحظ عمرو توتّر صديقه فقال له:

– مش عارف أقولك ايه يا هيثم، بس احنا مش صغيرين وطبعًا كل شيء نصيب..

ضحك هيثم ضحكة هستيرية، واستغرب عمرو ما الذي يُضحكه لذلك الحد، وظل ينظر إليه في تعجب فقال هيثم:

– طيب بص انا هقولك كلمتين وانت حر، مع إني كان ممكن أسيبك على عَماك بس أنا برضه أصيل وبصون العيش والملح.

لم يتكلم عمرو منتظرًا منه أن يُكمل كلامه فقال له:

– لازم تعرف أن ربَّة الصون والعفاف مش بس كانت حبيبتي ولا كان ارتباطي بيها ارتباط عادي، احنا كنا شبه متجوزين، و.... "

وقف عمرو من مكانه مفزوعًا قائلاً: "

– إنت واطي أوي يا هيثم!

– هي اللى واطية أوي صدقني.

لم يتمالك عمرو أعصابه فأمسك بهيثم من قميصه وضربه، فتجمع الناس لفض المشاجرة. انصرف عمرو وهو في قمة غضبه. كيف يصل انعدام الضمير لهذا الحد؟ كيف له أن يتهم إنسانة شريفة بذلك الاتهام البشع لمجرد أنها رفضت الزواج منه وفضَّلت شخصًا آخر؟ كيف له أن يتحدث بتلك الوقاحة عن أخت صديقه؟..

ظل عمرو أيامًا في حالة يُرثى لها، ولكنه حاول جاهدًا تجاهل كلام هيثم، وبالطبع لم يقل لديما أي شيء عن مقابلته بهيثم أو عن كلامه، لأنه يعرف جيدًا

كم هي رقيقة المشاعر ولن تتحمل أبدًا ما قاله عنها، حاول عمرو الإسراع في إجراءات كتْب الكتاب حتى يكون دائمًا بجانب ديما، ولكن للأسف لم يتركهما هيثم وشأنهما، لقد قال نفس الكلام لممدوح صديقهما الذي وبَّخه أيضا وتشاجر معه. وكأن الجميع سخرهم الله ليكونوا بجانب ديما لكي يدافعوا عنها..

وعندما علم عمرو أن هيثم لم يكفّ عن كلامه، ذهب هو وممدوح إليه في منزله وقامت مشاجرة كبيرة بين عمرو وهيثم أدت إلى إصابة كل منهما بجروح، حاول ممدوح جاهدًا أن يهدئهما وأخذ عمرو بالقوة وانصرفا ..

كانت تمر كل تلك الأحداث بين عمرو وهيثم دون أن تعلم ديما أو محمد بأي شيء خوفًا من عمرو عليهما، لأن محمدًا إذا وصله أي شيء من ذلك الكلام لن يكفيه قتل هيثم، ولهذا كان عمرو وممدوح يُحاولان أن يفعلا المستحيل حتى لا يصل أي كلام إلى محمد..

لكن للأسف أرسل هيثم رسالة إلى ديما يسبُّها فيها ويصفها بأبشع الألفاظ وفي نهاية الرسالة قال لها: " لو فاكرة انك عادى تلعبى بيَّا واسيبك تبقي غلطانة".

صدمت ديما وأسرعت لعمرو وقالت له ما حدث، ووعدها بأنه سيتصرف في ذلك الأمر، وأخذ وعدًا منها ألا تحكي لأخيها أي شيء..

في تلك الفترة حصل محمد على تأشيرة الهجرة لكندا التي دائمًا ما تمناها، وكان عليه السفر في أقل من أسبوعين. ومرَّ الوقت سريعًا وسافر محمد يملؤه الحزن لأنه لن يكون بجانب ديما وعمرو العام القادم عند زواجهما.

كف هيثم عن رسائله وكلامه عن ديما، أو بمعنى أصح، لم يصل إليهما أي كلام لأن الجميع قاطعه تماما.. وبعد سفر محمد بخمسة أشهر مرضت أماني أخت ديما ومحمد، واكتشف أهلها إصابتها بمرض خطير و أنها في حالة متدهورة، وسرعان ما توفت..

عاد والد ديما إلى مصر.. لكن محمد لم يستطع المجيء فالهجرة تلزمه بالبقاء في البلد فترة ما، صدمت أسرة ديما صدمة كبيرة، فأماني لا تزال في العشرين من عمرها، ولم يتوقع أحد إصابتها بأي مرض..

كادت ديما تموت حزنًا على أختها فأرسلت رسالة إلى نرمين وقالت لها إنها بحاجة إليها وأبلغتها بموت أماني، وفي نفس اليوم أتتْ إليها نرمين في المسجد حيث يُقام العزاء. عندما رأتها ديما أسرعت نحوها واحتضنتها باكية، فاحتضنتها أيضًا نرمين ولكن من دون بكاء، فنرمين معروفة بقوة مشاعرها، وأنها نادرًا ما تبكي على شيء ما، حتى لو كادت تموت من الألم..

بعد الصلاة، وتشييع الجنازة، وأثناء مراسم الدفن لم تستطع ديما أن تتمالك نفسها وتحبس دموعها، فمسكت سلمى يد صديقتها التى كادت أن تسقط مغشيًّا عليها بقوة، وقبَّلت رأسها وهي تبكي، ثم قامت بالدعاء وقراءة بعض السور القصيرة في محاولة منها لتهدئة صديقتها.

وفي أيام العزاء، ظلت نرمين وسلمى طيلة الوقت بجانب ديما، كذلك حضر هيثم الجنازة و العزاء، وقدَّم العزاء لديما وعمرو، مرت أيام العزاء الثلاث وسألت ديما صديقتها نرمين عما إذا كانت قد خُطبت أم لا؟ فقالت نرمين: إنها لم تخطب، وانتهى موضوعها قبل بدايته..

قاسية كانت الشهور الأولى، قاسية عليهم جميعًا، فبعد أيام العزاء يبدأ الوجع؛ وبعد أن تنتهي أيام المواساة والسلوى يبدأ أهل المتوفي وأحبابه في استيعاب حقيقة الفراق والموت. يشعرون بالغربة في الأماكن التي كانت تجمعهم بمن أحبوا، يشعرون بالوحشة والألم، يشعرون بالحنين للماضي، يشعرون بالندم على الأوقات التي مرت دون أن يعبروا لمن يُحبون عن حُبهم.. مشاعر كثيرة تظهر بعد انتهاء مراسم العزاء، وهذا ما حدث مع ديما مما أدى إلى انهيارها، دائمًا ما تتردد على المستشفى لما يحدث لها من إغماء وانهيار حزنًا على أماني ..

ولأن الأب كان أكثرهم حكمة، ففكر أنه من العقل أن تنشغل ديما عن فاجعة موت أماني بشيء آخر يُلهيها عن حزنها، فقرر أن يتم كتْب كتابها على عمرو في أقرب وقت. وعندما عرض الأمر على عمرو لم يُمانع فهو يفهم جيدًا تفكير والد ديما، ولكن ديما رفضت فكيف لها أن تتزوج بعد أسبوعين من وفاة أختها؟ كيف لها أن تشعر بالفرحة وأختها بعيدة عنها؟

استغرب الجميع موقف الأب ولكنه لم يُبال، ما كان يشغله هي ديما فقط..

عرفت هي ذلك عبر حديث سمعته خلسة دار بين أبيها وأمها تسأله الأخيرة فيه عن سر تعجله ، وعن أنه لا يمكن أن تتم الخطوبة قبل أن تمر فترة كافية على وفاة أماني فكان رد الأب:

– أديكى شايفه يا سعاد حالة ديما، كل يوم تعب ومستشفيات، البنت داخلة على اكتئاب من كتر الحزن، وأنا مش هستنى أنها تضيع مني هي كمان، لازم تنشغل بحاجة، لازم نكسر الحزن والألم اللي احنا فيه، لازم نتغلب على الجرح ده، لو فضلنا كده هنموت كلنا من الحسره والوجع.

كان الأب يبكي وهو يتحدث، وبكت أيضًا الأم المكلومة من كلامه، أكمل كلامه قائلاً:

– لازم ديما تقوى، لازم تعرف إن أماني وديعة وربنا استردّها، مينفعش نعترض على قضاء الله، ومينفعش نوقف حياتنا ونكمّلها في حزن، لازم يكون عندها إيمان بالله أن هو ده الخير، ساعدينى يا سعاد نقنعها بكتب الكتاب، وجود عمرو دايمًا معاها هيهوِّن عليها كتير.

وبالفعل وافقت ديما بعد ما سمعته إن كان ليس من أجلها فمن أجل أهلها. اتصل الأب بعمرو، و طلب منه أن يُحضر أهله ويأتوا في المساء لكتب الكتاب، استغرب عمرو جدًّا ولكنه ذهب في الموعد هو وأبوه وأمه وأخوه الأكبر، و عُقِد القران وسط الدموع و وجع القلوب، بدأ والد عمرو بسؤال والد ديما عما يُريده من مهر وشبكة وشقة إلى آخره، رغم أن ذلك الكلام

متأخر كثيرًا، وكان يجب الاتفاق عليه قبل كتب الكتاب ولكن قاطعه والد ديما قائلاً:

– مش مهم الكلام ده، اللى مش هتجبوه انتوا هنجيبه إحنا، المهم نفرح بالولاد.

ومرت الأيام ، و ديما تعيش على ذكرياتها مع أختها ، تلك الذكريات التى كانت تمدها بالدفء والراحة، على عكس ما يظن بعض الناس أن الذكريات تمزق قلوب أصحابها. كان من الطبيعي أن تكون هذه الفترة في حياة عمرو وديما من أسعد أيام حياتهما ولكن للأسف لم يحدث ذلك. فقدان ديما لأختها كان دائمًا يمنعها من الفرحة، كانا دائمًا يذهبان معًا لزيارة المقابر، كانت ديما دائمة البكاء.. وكان عمرو دائم المواساة لها..

بعض المحيطين استغربوا من تكرار ديما وعمرو لزيارة المقابر في فترة يفترض فيها البهجة، وكانوا يرون أن ذلك شيء مخيف ويدعو للكآبة، وإصرارهما عليه غير مفهوم فكان رد ديما عليهم:

– فيه ناس بتخاف من زيارة المقابر وشايفاها مخيفة .. مش عشان هي مخيفة .. بس عشان هما ملهمش حد غالي فيها.. مفيش حاجة خلّتهم يزوروها عشان يحسّوا إذا كانت مكان جميل أو لا أو مخيف ولا لا، أنا بقي جربت زيارتها وممكن أقول إن المقابر بالنسبة ليا هي أكتر مكان بحس فيه بالراحة النفسية.. أكتر مكان بحس فيه بصفاء القلب والروح.. أكتر مكان بحس فيه بالأمان.. أحيانًا بحس أن بيني وبين المكان ده قصة عشق..

وباستغرب لما حد يكسِّل يزور والده أو والدته أو حد غالي عليه موجود هناك.. رغم إن مفيش اختلاف في إنهم بيحسّوا بيك وبيفرحوا بوجودك وبيستأنسوا بيك، ربنا مايكتبش علي حد إنه يفقد حد من أهله أو أحبابه.. بس بجد المقابر جميلة جدًّا .. آه ليها رهبة لأن الموت طبعًا ليه رهبة بس حتي رهبتها مريحة نفسيًّا جدًّا، مكان بحس فيه إن الدنيا دي ولا حاجة ومهما رُحت وجيت فيها في الآخر مكانك هنا.. لا حول ليا ولا قوة.. بتديلي طاقة إني أحاول أعمل لآخرتي أكتر وبتقلل من حب الدنيا في قلبي..

***

تناول عمرو بعضاً من أصابع البطاطس الموضوعة أمامه على الطاولة التي أعدتها ديما بعد تلبية نرمين وممدوح لدعوتهما على الغداء يُصبر بها جوعه ، قبل لحظات من ارتفاع رنين جرس الباب الذي أعلن عن قدوم ضيف آخر ..وإذا بممدوح يطل عليهم بابتسامة تكسو وجهه الأسمر المستدير، حاملاً فى يده باقة من الزهور، ومن بعده وصلت نرمين.. فتغير لون وجهه حين رآها وألقى عليها السلام دون أن ينظر مباشرة في وجهها وكذلك هي فعلت دون أن يلاحظهما أحد .. ماعدا ديما التي التقطت الأمر فأجابوها بعد ضحكة متهربة: أن لا شيء .

لم تستغ ديما الموقف برغم ردهم ومروره .. وظل قابعاً في ركن مهمل من عقلها طفا مرة أخرى إلى السطح.

بعد خمسة أشهر من الموقف.. حين أرسل هيثم رسالة إلكترونية لها.

استغربت في البداية اسمه المرفق مع الرسالة .. فمنذ وفاة أختها وحضوره العزاء لم تسمع عنه شيء ..

فتحت ديما الرسالة لترى ما بها :

– أولا يا ديما أنا ببعتلك عشان أطلب منك تسامحيني، أنا عارف إني آذيتك قوي وظلمتك، وعارف إنك دلوقتى بتكرهيني وممكن تكوني بتتدعي عليَّا، بس انتي عارفة أنا حبِّيتك قد إيه فكان غصب عني، أرجوكي سامحيني..

أنا فكرت كتير قبل ما اكتبلك الرسالة دى بس والله انتى صعبانة عليا، إبعدي عن اللي اسمها نرمين، والله نرمين دي عمرها ما كانت صاحبتك أو بتحبك، دي مش بني آدمة، دي أزبل إنسانه شوفتها في حياتي، دى حربايه بتتلون على كل لون، أنا عارف إنك مستغربة كلامي، بس لازم تعرفي إن نرمين هي اللي كرَّهتني فيكي وشيِّلتني منك، ووصَّلتنا للي احنا فيه لما زمان حكتلي إنك بتحبي عمرو وبتتكلموا، وبعد ما أنا وانتى بعدنا عن بعض، ارتبطت بنرمين شهرين ونص، ووالله العظيم طول الفترة دي ما كانت بتجيب سيرتك بكلمة كويسة لا إنتي ولا محمد، كانت بتقول عليكم أبشع الكلام، وأنا وقتها كنت ضعيف ومجروح منك فمش هانكر إن أنا كمان كنت بغلط فيكي جدًّا، إبعدي عنها، إنتي إنسانة كويسة ودي مينفعش تكون صاحبتك.

قرأت ديما الرسالة بثبات ودون أن تهتز من مشاعرها شعرة ، ثقتها في أنه إنسان كاذب، وثقتها في صديقتها منعتها من أن تصدق أي حرف قرأته.. وبمنتهى الثقة أرسلت له الرد قائلة:

– كفايه كدب بقى يا هيثم! انت ليه عايزني أبعد عن كل اللي بيحبوني وباحبهم، الأول عملت المستحيل عشان عمرو يبعد عني، ودلوقتي عايزني أبعد عن نرمين، إنت عايز مني إيه، ليه بتكره تشوفني سعيدة وسط ناس بحبهم وبيحبوني، حسبى الله ونعم الوكيل فيك.

أرسلت ديما الرسالة ثم اتصلت بعمرو الذي كان يراها على خطأ لأنها أجابت على رسالة هيثم ولم تتجاهله.. وطلب منها ألا تفكر في كلامه لأنه بالتأكيد كاذب، وألا ترسل له مرة ثانية مهما كان الأمر ووعدته ديما بذلك، وبعد ساعات فتحت ديما البريد الإلكتروني مرة ثانية، فوجدت هيثم قد أرسل رسالة أخرى يقول:

– يا ديما انتي مش فاهماني! أنا بجد عايز أفتح عينك عشان انتي ماتستهليش تعيشي مش فاهمة حاجة، أنا مش باكدب، فاكرة اليوم اللي اتقابلتي فيه انتي ونرمين في الكافيه وكانت بتكلم حبيبها، وانتي وصلتيها بنفسك لسيتي ستارز، أنا حبيبها ده.. كنتي بتستغربي دايماً إني عارف كل كلام بينك وبين عمرو مسألتيش نفسك ازاي، عشان نرمين كانت بتنقلي كل كلمة بينكم، مسألتيش نفسك هي بعدت عنك ليه، انتي ازاي مش قادرة تشوفي الحقيقة، أنا هبعتلك دلوقتي ملف، فيه كل الشات اللي كان بيني وبين نرمين خلال ٤ أو ٥ شهور منهم شهرين ونص ارتباط عشان تصدقى بنفسك.

قرأت ديما الرسالة وهي تشعر بدهشة، فهي لا تصدق أبدًا ما يقوله وتثق تمامًا أنه كاذب ولكن كيف عرف كل ذلك.. كيف عرف تفاصيل يومها مع صديقتها في ذلك الحين ؟؟

تسرب بعض من الشك إليها .. فاتصلت بنرمين وقالت لها قبل أي سلامات بينهما:

- نرمين هو انتي كنتي مرتبطة بهيثم؟

فكان رد نرمين التلقائى:

- هيثم مين؟

شعرت ديما أن نرمين لم تستوعب ما قالته، فحكت ديما لها ما حدث مما أدى إلى استغراب نرمين أيضًا لما قاله هيثم وقالت في ثقة:

- هو ليه بيقول كده أصلا!! كمان غريبة أووي إنه عرف الكلام اللي بينا ازاي، زي ما يكون كان معانا؟

وبعد تفكير منهما قررتا تجاهل كلامه، فالكل يعرف من هو هيثم وكيف أنه حاول جاهدا أن يعكر صفو حياة ديما..

تفكير ديما المتواصل فيما يفعله هيثم جعلها تشعر بالكره الشديد له، كانت دائمًا تتساءل كيف له أن يعيش في ظل ذلك الكذب؟ وما الاستفادة التي يجنيها عندما يتسبب في أذى الآخرين؟ فأرسلت إليه رسالة تُوبخه فيها وتُوجه إليه الإهانات، ظنًّا منها أنها بذلك ستُخمد النار التي دائما ما يشعلها بداخلها..

في اليوم التالي كان عمرو يتناول الغداء في المنزل مع ديما وأهلها وبالصدفة رأى على موبيل ديما رسائل البريد الإلكتروني بينها وبين هيثم وعرف أنها أرسلت إليه رغم أنها وعدت عمرو ألا تفعل ذلك فغضب غضبًا شديدًا، وانصرف وهو في قمة الانفعال، ظلت ديما تبكي لأن تلك هي المرة الأولى التي ينفعل فيها عمرو عليها وحاولت مرارًا الاتصال به دون جدوى، وبالصدفة اتصلت نرمين بديما لتطمئن عليها، وحكت ديما لها ما حدث بينها وبين عمرو، حاولت نرمين تهدئتها وقالت لها إنها ستتصل بعمرو وتصلح بينهما، وبالفعل بعد أقل من نصف ساعة، اتصل عمرو بديما وقام بمصالحتها واعتذر عن انفعاله عليها..

مر شهر والآخر وأتى يوم زفاف ديما وعمرو، وبسبب الظروف التي مرت بها ديما وأهلها فقد قرر عمرو وديما أن يكتفيا بعشاء يضم العائلتين بدلاً من حفلة الزفاف، ولكن اعترض والد ديما بشدة؛ فتلك الليله ليلة عمرها ومهما كان حجم الحزن بداخلهم فسيفعل كل ما في وسعه محاولاً إدخال السرور علي قلوبهم جميعا ..

وفي جولف سيتي العبور .. حيث الهواء النقي وسط المساحة الكبيرة الخضراء والأزهار المختلفة ألوانها، وبالقرب من حمام السباحة الممتلىء بالبالونات كانت تجلس ديما بثوبها الأبيض الجميل المصنوع من الدانتيل المطرز، ويمتد ذيل ثوب عرسها خلف ظهرها في دائرة كبيرة، ترتدي حجابًا

من الدانتيل الممزوج بالشيفون عليه تاج من اللؤلؤ المرصع بقطع الماس، وتضع مكياجًا هادئًا ورقيقا كثوبها ..

أما سلمى فكانت بالقرب من صديقتها وذهبت اليها وانحنت لتضع قُبْلة رقيقة على رأسها، وتساقطت دمعة من عينيها من شدة الفرح؛ ففرحتها بزفاف صديقتها لا يمكن التعبير عنها بأي كلام.

حضر بعض الأصدقاء والأهل وكان يومًا جميلاً جدًّا، ينقصه أماني رحمها الله ومحمد الذي هاجر وانشغل بعمله وأصبحت علاقته بديما وأهله مجرد مكالمة كل يومين أو ثلاثة ..

وبعد شهر العسل أرسل هيثم باقة من الورد الجميلة لهما على المنزل وكارت مكتوب فيه، "ألف مبروك، بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير، أتمنى لكما كل السعادة".

لم تتأثر ديما بالورد أو الكارت ولم تُبدِ أي تعليق عليهم، إلا أن عمرو قال لها:

– سامحي يا ديما بقى، كل واحد منا بقى في طريق ومالناش دعوة بيه، بس سامحيه مش عشانه هو، عشانك انتي، بلاش تعيشي شايله في قلبك من حد، الدنيا مش مستاهلة.

ولكن لم تُبد ديما أيضًا أي تعليق على كلام زوجها، هي أيضًا مقتنعة بكلامه ومقتنعة أن التسامح يُنقي القلب ويُهذب النفس ويُقلل من الحقد

والغل، ظنت ديما أنها بطبيعتها متسامحة، لكنها عرفت كم هي شديدة البعد عن التسامح عندما عرفت هيثم وعندما أساء إليها وجرحها جرحًا لم تستطع أن تشفى منه ..

قام بعض أصدقاء ديما فى الجامعة بزيارتها عقب عودتها من شهر العسل؛ فطلبت منها لبنى -إحدى الصديقات- التي لا تربطها بها علاقه قوية أن تحدثها على انفراد، وبالطبع استجابت ديما فقالت لها لبنى:

- أنا عارفة إن المفروض ما اتدخلش، بس لازم تعرفي، أنا مش عارفة أبدأ ازاي؟

كانت ديما تنتظر لتعرف ماذا ستقول لبنى، وعند سكوت لبنى اضطربت ديما وطلبت منها أن تتحدث في الموضوع بدون أي مقدمات، فأكملت لبنى كلامها بصوت مرتعش:

- أنا مستغربة هي ازاي نرمين صاحبتك كدة، احنا خرجنا تانى يوم فرحكم كلنا ونرمين فضلت تتريق عليكي وعلى جوزك كتير، وكان أسلوب كلامها عنك وحش جدًّا.

استغربت ديما من كلام لبنى وقالت لها:

- ازاي يعني؟!

فقالت لبنى:

– يعنى فضلت تقول أن جوزك بيسمع كلامك في كل حاجة، بس مش بأسلوب كويس، هي كان نفسها تبيِّن للناس انه بيعمل اللي انتي عايزاه مش عشان بيحبك وعايز يسعدك، كانت بتحاول تبيّن بطريقة مش مباشرة إنه بيرضيكي في كل حاجة ضعف شخصية منه، وفضلت تقول كمان أنها مستغربة إنك فرحانة وبتتجوزي وأختك ماتت من كام شهر بس وكلام كتير غريب.

سكتت ديما وبداخلها شيء يقول إن لبنى تكذب، ولكنها قالت لها بدون أى تعقيب آخر: أوكى.

و جلستا مع باقي أصدقاء الجامعة الذين حضروا للمباركة وتقديم التهاني، وبعد انصرافهم شردت ديما بذهنها تفكر فيما قالته لبنى، وتذكرت أن ريهام صديقتها قالت لها منذ وقت بعيد إن نرمين تتحدث عنها بطريقة غير لائقة واتهمت ديما وقتها ريهام بالكذب.. أصبحت ديما غير قادرة على التفكير..

رآها عمرو شاردة الذهن فسألها عما حدث وعن ما قالته لبنى لها، فحكت له فقال عمرو:

– إنتي محتاجة تفكري شوية يا ديما، مش ملاحظة إن غريبة شوية إن كذا حد يحذرك منها، وكلهم ناس متعرفش بعض، إنتي بتثقي فيها ثقة عمياء وده مش صح، لازم تفكري وتسألي نفسك، ليه كميه التحذيرات دي؟؟

سكتت ديما ثم قالت:

– يعني إيه، يعنى ممكن أكون اتخدعت فيها، لا لا مش ممكن يابني دي أختي، لا يمكن أشك فيها!

فقال عمرو:

– طيب افرضي معايا يا ديما إن كلامهم طلع صح، أو إن كلام هيثم صح وإنها كانت مرتبطة بيه وهي اللي بتكدب عليكي.. وإن مثلا...

لم يكمل عمرو كلامه عندما رأى الدموع تملأ عين ديما لمجرد الافتراض أن صديقتها ليست بصديقة، فقال:

– ياه!!! يا ديما!! للدرجة دي؟

مسحت ديما دموعها قائلة:

– أنت مش فاهم يا عمرو، نرمين دي مش بس صاحبتي، نرمين زي أختي بالظبط، أنا بحبها أووى، لما باتعب أو باتضايق مش برتاح غير لما أحكيلها، لما كانت مرتبطة بمحمد كانت دايمًا في مشاكل مع محمد، وانت عارف أن عمرنا ما كنا بنتخانق بس كنت بتخانق معاه عشانها وعشان بيزعلها، لدرجة إن ماما كانت بتستغرب هو أنا أخت مين أخت نرمين ولا أخته؟ كنا مع بعض في الجامعة والبيت وكل حاجة، مش بنسيب بعض غير وقت النوم بس، أمها بحسِّها أمي، وأخواتها أخواتي، حتى لما كانت هتتخطب والله رغم الوجع على أن خطوبتها على حد غير أخويا بس اتمنت ليها السعادة من كل

قلبي، لما بصلي هي أول واحدة بدعيلها ربنا يحلي أيامها ويكتبلها الخير، إحنا مش مجرد أصحاب أنا وهي، إحنا أختين؟

فرد عمرو:

– خلاص يا ديما مادام واثقة كده متشغليش بالك.

***

امتلأت عينا ديما بالدموع وهى تحكى لصديقتها سلمى عما قالته لبنى، فقد اتصلت ديما بسلمى خصيصًا لمقابلتها بسبب ذلك الموضوع، فهى بحاجة إلى الكلام مع شخص تثق به، وكان رأي سلمى نفس رأي عمرو بأن على ديما التفكير جيدًا فى كل ما قِيل لها ..

– دي كدابة، هو فيه إيه محدش سايبني في حالي ليه؟!!

بهذا ردت نرمين في اتصال قامت به ديما حكت لها فيه عما قالته لبنى:

– وخلاص بقى يا ديما مادام بتيجي تسأليني عن كل كلمة حد بيقولهالك تبقي انتي مش واثقة فيا، ومادام مش واثقة فيا يبقى ملهاش أي لازمة صحوبيتنا دي وكل واحد يكمل حياته بعيد عن التانى، أرجوكي يا ديما كفاية ومتتصليش بيا تاني.

لأول مرة لم تتأثر ديما بعصبية صديقتها، لأول مرة تشعر ديما بانفعال صديقتها ولا تحاول تهدئتها.. أحست ديما بأن هناك شيئًا خفيًّا، لِمَ كل هذه

العصبية من صديقتها؟ كان عليها أن تثبت لها أن لبنى كاذبة، وبدون أي تفكير فتحت ديما البريد الإلكتروني وظلت تبحث عن الملف الذي أرسله هيثم، عثرت عليها وفتحته، وبمجرد أن رأته علمت أنه من الصعب أن يكون ذلك الملف مفبركا لأنه من ال chat log، كان ما يقرب ٥٠٠ صفحة، فكانت تمر بعينيها خلال كل عشر صفحات على جملة أو اثنين، وإذا بعمرو يسمع صوتَ بكائها، و هي تحاول إخفاءه ولكن الذي أحسته من جرح كان أقوى من أن تتحكم في نفسها..

ظلت تكتم أنفاسها حتى لا يسمع بكاءها أحدٌ، ولكن صدمتها كانت فوق أي شيء، جرى عليها عمرو واحتضنها، كانت ترتعش في حضنه، ظل صوت بكائها يعلو ويعلو، وكلما علا زاد احتضان عمرو لها، وأخذ عمرو اللاب توب ليرى ماذا قرأت و تسبب لها بكل ذلك، وإذا به يغلقه صارخًا:

– عالم زبالة وواطيين، إحنا غلطانين من الأول أن عرفنا الأشكال دي، والله ما يستاهلوا دمعه واحدة من دموعك يا حبيبتي، اهدي يا ديما أرجوكى وفُوقي، مش دول اللي تبكي عليهم أو عشانهم.

حاولت ديما أن تجمع كلماتها المُبعثرة:

– أنا مش بعيَّط عليهم، أنا بعيط على نفسي، ليه بيكرهوني كده، أنا عملتلْهم إيه، أنا مكنتش باخدعه زى ما بيقول، أنا بسببه تعبت نفسيًّا والله أيام كتير عشان مش عايزة أجرحه أو أوجعه، وواحدة كانت أقرب ليا من إخواتى وعمري ما أذيتها أو شافت مني غير كل خير وحب، ليه كده؟؟، وليه كمية

النفاق دي، ما كانت تقولي في وشِّي إنها بتكرهني، ليه تعيش بوشِّين، وشّ بيحبني وبيخاف عليَّا ووشّ تاني بيطعنِّي في ضهري وبيوجعني!

ما قرأته ديما كان فوق أي استيعاب، فهما لم يرتبطا ببعض فقط، ولكنهما دائما في سيرتها بالباطل، تكلما عنها وعن سمعتها وشرفها وأخلاقها، اتهاها بأنها كانت على علاقة محرمة بهيثم، كلام حقير لم تقوَ على استيعابه أو فهمه، بصرف النظر عن أن الكلام من الصعب أن يخرج من إنسان مسلم يخاف الله، وهما ليسا فقط بمسلمين؛ بل كانا يومًا ما أغلى ما لها، لمَ كل ذلك الكره ؟ لعل سبب كُره هيثم معروف ولكن، لماذا فعلت نرمين كلَ ذلك؟

حاولت سلمى بكل ما تملك أن تكون بجانب صديقتها وأن تُهدِّئ من روعها، فالصدمة بالفعل كبيرة جدًّا عليها.. كانت تقضى تقريبا طيله اليوم معها، وذات يوم وبعد عودتها إلى منزلها، توضأت وصلّت ودعت لصديقتها ديما أن يذهب الله عنها ما بها من حزن، وذهبت إلى فراشها لتنام، ومدت يدها لتطفىء الأباجورة الموضوعة بجانبه. لكن عينها أبت النوم، صوره صديقتها ديما ودموعها و وجهها المفعم بالحزن لا يفارق عينيها، أنارت سلمى الأباجوره وجلست علي فراشها والتقطت مدونتها كاتبةً :

"الحقيقة، أننا عندما نحب شخصًا ما، يتوقف عقلنا عن التفكير، ونفكر بقلبنا فقط، ننسى أن أي إنسان يمكن أن يُظهر عكْس ما يُضمر لنا، ننسى أن الدنيا مليئة بالمنافقين والكاذبين ومن الممكن أن يكون أقرب الناس لنا ينتمي لتلك الفصيلة".

ديما كانت تثق ثقةً عمياء في نرمين، رغم أنها من الممكن أن تعرف الحقيقة منذ زمن، لو كانت اهتمت بكلام ريهام لها، أو كلام هيثم، أو لو كانت قرأت الملف الذي أرسله هيثم، لكن ثقتها بصديقتها منعتها من أن تفكر حتى أو تضع احتمالاً ولو ضئيلاً أن صديقتها ليست بصديقة..

"لا أعلم هل كانت ديما لا ترى الحقيقة، أم أنها لم تكن تريد أن تراها.."

حاولت سلمى و معها ديما وعمرو كثيرًا أن يفكروا في سبب ما فعلته نرمين ولكن دون جدوى، فدائما ما نسمع أن الغيرة هي المحرك الأساسي في مثل تلك المواقف، ولكن لماذا ستغار نرمين من ديما، والاثنتان على قدرٍ من الجمال، والاثنتان في نفس المستوى تقريبًا، والاثنتان يحبهما أصدقاؤهما، فما سبب تلك الغيرة؟ وإن كان الموضوع ليس له علاقة بالغيرة فما سبب الذي جرى؟ وما سبب الكراهية؟ أسئلة كثيرة لا توجد لها إجابات واضحة..

قررت ديما الاتصال بنرمين، لعلها تعرف منها لماذا فعلت معها كل ذلك؟ أنكرت نرمين، بكل ما أوتيت من قوة، علاقتها بهيثم وأقسمت على ذلك، وطبعًا بعد ما رأت ديما بنفسها ما بينهما من محادثات فلا أحد سيصدق كذبها أو قسمها، وعندما قالت لها ديما:

- كفاية تمثيل بقى، ما كل حاجة بانت واتعرفت، والشات موجود من إيميلك وأسلوب كلامك، ليه عملتي فيا كده، ده أنا محبتش حد من أصحابي قد ما حبيتك، أذيتك في إيه عشان تعملى كدة؟!

صمت خزي اشتمت خلاله دينا رائحة الخيانة .. تلك التي أفصحت عنها نرمين وهي تصيح على الجانب الاخر من الهاتف قائلة في انفعال حاقد:

– أذيتيني في ايه ؟؟ أنتى اكتر إنسانه أنانية شوفتها في حياتي، كان كل همك زمان أفضل أنا وانتي أصحاب عشان حضرتك تكوني مبسوطة وأنا جمبك، إنما مفكرتيش في مشاعري أنا، مفكرتيش ازاى صعب عليا أكون شايفاكي قدامي وانتي أخت الإنسان اللي حبيته وخذلني، مفكرتيش فيا أنا لحظة، أنا متأكدة إن انتي اللي كنتي بتوقّعي بيني وبين محمد، ما استحملتيش واحدة تشاركك في أخوكي ويحبها، إنتي أنانية فعلاً، بتفكري في مصلحتك وبس.. يا شيخه ده انتى روحتي اتخطبتى وفرحتي وأختك لسة متوفية ولا كإن ليكي أخت زعلانة عليها!

لم تتحمل ديما أن تسمع المزيد فأغلقت السماعة في ذهول. كيف تقول نرمين مثل ذلك الكلام! ديما كانت تحافظ على مشاعر نرمين جدًّا وكانت مشاكلها مع أخيها بسبب حبها الزائد لنرمين. فلم تقدر يومًا أن تراها حزينة بسبب أخيها، كانت تخاصم أخاها من أجل صديقتها. ديما لم تتمنّ زوجة لأخيها سوى نرمين فكيف لها أن تكون سببًا في بُعدهما كما تدَّعي نرمين. ولعل كل ذلك الكلام كان هيِّنًا إلا أن آخر جملة كسرت ديما، كيف تتهمها نرمين أنها ليست حزينة على أختها؟ نرمين تعلم جيدًا سر ذلك الاستعجال في الخطبة والزواج، وتعلم أن أهل ديما فعلوا ذلك بسبب الوجع الشديد والتعب الذي تعرضت له ديما بسبب حزنها على فقدان أختها!

لكن بعد ذلك الجرح أصبح العتاب لا قيمة له، أصبحت الصداقة لا معنى لها بعد هذا الحقد الرخيص، أصبح كل شيء لا يستحق سوى التجاهل، فحقًّا حينما يغيب الضمير يصبح كلُّ شيء مباحًا.. وللأسف غاب ضمير نرمين وأباحتْ لنفسها كل شيء دون إحساس منها بالخطأ أو الذنب.

بعد مرور أسبوعين على تلك المكالمة التي كانت سببًا في تدهور حالة ديما النفسية، وعندما بدأت في استرداد صحتها، فاجأها عمرو قائلاً لها:

- أنا كنت عارف إنها ارتبطت بهيثم على فكرة.

ذُهلت ديما كيف له أن يعرف ذلك، دون أن يخبرها.. سألته عن ذلك فكان رده:

- أنا حاولت كتير أقولك يا ديما بس ما قدرتش، كنت بحاول ألَّمح ليكي من بعيد بس مكنتيش بتفهمي، لدرجة إنى قولتلك إفرضي إنهم كانوا مرتبطين، وانتي رديتي أن ده مستحيل وعيَّطتى لمجرد فرض، وأنا كنت خايف عليكي أوي، كفايه عليكي وجع فراق أماني الله يرحمها وسفر محمد، مكنتش قادر أقولك عشان متتعبيش أكتر، وفي نفس الوقت قولت لنفسى يمكن نرمين ندمت وبتصلح اللى فات.

زادت صدمة ديما مما قال لكنها لم تنطق بأي تعقيب أو رد على كلامه، واستأذنته أن تذهب إلى غرفتها لأنها تشعر بالتعب وتود أن ترتاح قليل، وساعدها إلى أن وضعت جسدها المتعب على سريرها وتركها لتنام. ولكن كيف للنوم أن يقارب عينيها وهي في تلك الصدمة، كيف لجفنها أن يغفو

وهي تفكر في ألف شيء، كان عقلها وقلبها يتساءلان كيف لشخص أن يخدع آخر إلى هذا الحد، هل هذا غباء منها، أم طيبة؟

ظلت تسأل نفسها هل هذه نرمين التي ضحَّت ديما بأصدقائها من أجلها؟ هل هذه نرمين التي كانت كل يوم في بيت ديما ومعها؟ هل هذه نرمين التي كانت الأخت المقربة لها؟ .. جرحتها لمدة طويلة دون أن تشك ديما فيها ولو ثانية واحدة، في الوقت الذي كانت تدعو ديما فيه لها أن يسعدها الله مع من اختارته، كانت تطعن فيها وتخطط لجرحها وإيذائها..

وفي لحظة نهضت من فراشها رغم إرهاقها وارتدت ملابسها، وانطلقت تعدوا خارج الشقة، حاول عمرو أن يسألها: إلى أين تذهب؟ ولكنها أخذت سيارتها وتحركت بسرعة كبيرة..

ركنت سيارتها أمام قسم شرطة مصر الجديدة، ودخلت القسم وهي في حالة انهيار، قابلها أحد الأفراد وسألها ماذا بها؟ وماذا تريد؟ فأجابت أنها تريد أن تحرر محضرًا، ذهبت إلى الضابط الذي كان يجلس ينظر إليها في حيرة حين رآها، وطلب منها الجلوس حتى يفهم منها ماذا حدث..؟

قالت بحروف مبعثرة:

- انا عايزة اعمل محضر سب وقذف لواحدة كنت أعرفها.

استغرب الضابط

- سب وقذف؟؟

انهيارها هيأ له أن هناك شيئًا كبيرًا، ولكنه تفاجأ أن كل هذا الانهيار بسبب إهانة شخص لها. حكت ديما كل ما حدث واستمع إليها بعناية شديدة. وبعد أن أنهت كلامها قال لها:

- يا مدام ديما! أنا شايف الموضوع مش مستاهل أصلاً، ده لو أي حد عمل محضر لحد شتمه أو غلط فيه هيبقى عندنا مليون محضر وأكتر، إنتِ بس عصبية زيادة عن اللازم لأن واضح من كلامك إنها كانت غالية عندك لكن الموضوع فعلاً مش مستاهل.

أكدت ديما على تمسكها بتحرير ذلك المحضر، وطلب منها الهدوء و العودة إلى بيتها وأعطى لها رقم هاتفه وطلب منها أن تُحادثه عندما تهدأ وتفكر في كلامه وهو سيفعل ما تريد..

عادت ديما إلى منزلها وكان في انتظارها عمرو بقلق، لأنه حاول اللحاق بها دون جدوى، وسألها بعصبية أين كانت؟ ولماذا لم تجب على هاتفها المحمول؟..

حكت له ديما ما حدث فلم يتمالك عمرو نفسه قائلاً:

- إنتي اتجننتي، ازاي تروحي قسم لوحدك وازاي متقوليليش؟ عارفه يعنى إيه بنت تدخل قسم، وعارفه كان إيه ممكن يحصل، كان ممكن تقعي في ظابط مش محترم هزَّقك ولا سمعك كلمة ملهاش لازمة، كان ممكن تشوفى مناظر مينفعش تشوفيها، رايحة القسم عايزة تعملي محضر عشان ناس شتموكي أو غلطوا فيكي! ده إيه التفاهة دي؟! ما يولعوا بجاز، الموضوع ما يستاهلش كل ده.

اندهشت ديما من رد فعل زوجها، ظنت أنه سيشعر بها ولن يُوجه لها كل ذلك النقد، ولم تتمالك نفسها وانهارت باكية، أحس عمرو أنه كان قاسيًا، بالفعل هي تعطي الموضوع أكبر من حجمه، ولكن وجعها ليس هيِّنًا، فعندما يجرح الشخص الطيب الذي يثق بالآخرين يشعر بوجع مضاعف عن غيره.

قبَّلها عمرو قبلة حانية على جبينها وطلب منها أن تسامحه على عصبيته، ووعدها أن يفعل ما يريحها حتى إن كانت راحتها في ذلك المحضر، وطلب منها أن تستريح وتخلد للنوم وعندما تستيقظ سوف يتناقشان بموضوعية في كل شيء..

وفي الصباح لم يذهب أي منهما إلى عمله، لأن ديما مرضت وأصبح ضغطها منخفضًا كالعادة وظل عمرو بجانبها. طلبت منه أن يتصل بعاصم أخيه الذي يعمل محاميًا بأحد مكاتب المحاماة الكبرى ويطلب منه الحضور حتى يأخذوا رأيه في الأمر وبالفعل حضر عاصم وقصوا عليه ما حدث فقال لهم:

- أولا يا ديما أنا كمان مش شايف أي لازمة لكل ده، بس أنا هريحك، لكن قبل أي حاجة لازم تعرفي كذا حاجة، محاضر السب والقذف دي حبالها طويلة وبتاخد وقت، وفي الآخر لو اتحكملك بيتحكم بتعويض ٢٠٠ ولا ٣٠٠ جنيه وانتي بتصرفي أكتر من كدة بكتير، فالموضوع كله مالوش أي لزمة.

ولكن ديما كانت مصممة على رد كرامتها التي أهانها هيثم بمساعدة صديقتها وأصرت أن تسير في ذلك الاتجاه.. حاول معها عمرو وأخوه كثير في إقناعها أن تتراجع ولكن دون جدوى، فقال لها عمرو:

- يا ديما! انتي السكينة سرقاكي عشان لسة جرحك من صاحبتك صاحي، بكرة هتنشغلي في بيتنا وحياتنا وهتعرفي أن كل ده لعب عيال، وحتى يا ستي لو مش لعب عيال ديننا بيحثّنا على التسامح، يا ديما! دي السيدة عائشة أشرف النساء اتُّهمت في شرفها، ودي زوجة الرسول، ومع ذلك لما أبوها أبو بكر الصديق كان هيوقف النفقة اللي كان بينفقها على مسطح بن أثاثة عشان خاض في عرض بنته، ربنا نزل الآية الكريمة، بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(النور:٢٢)، فطبعًا سيدنا أبو بكر بعد الآية دي سامح واستمر في النفقة على مسطح، عشان كلنا لنا أخطاء وبنتمنى ربنا يغفر لنا..

قاطعته ديما قائلة:

- يا عمرو أنا عارفة كل ده بس أنا مش قادرة! أنا بني آدمة عادية، إيه اللي هيوصلني لصَحَابي زي أبو بكر.. وربنا قال نعفو ونصفح لو قدرنا، وأنا مش قادرة، أرجوكم امشوا في إجراءات المحضر في أقرب وقت.

***

بعد الانتهاء من وجبة العشاء التى شاركهم فيها خال سلمى، أحضرت أمها الشاي وبعض الحلويات، مدَّ الخال يده لالتقاط إحدى قطع الحلوى ناظرًا إلى سلمى التي لاحت علي وجهها علامات الإحباط، ثم عرض عليها أن تكتب مقالاً شهريًّا في مجلة شبابية يمتلكها أحد أصدقائه، ولكنها رفضت بحجة أن حلمها ليس الكتابة، حلمها أن تكون إعلامية وتقدم برامج هادفة للمجتمع، فكان رد خالها:-

- انتي عايزة تكوني مذيعة ليه يا سلمي!؟

قالت سلمى:

- أنا مش بفكر في الشهرة والفلوس، أكيد دي حاجات مهمة بس مش أساسية بالنسبه ليَّا، لكن أنا عندي هدف عايزة أوصَّله؛ أنا أصحابي بيحبوا يسمعو كلامي، بيقتنعوا بوجهات نظري، بيشوفوا إني باقدر أوصل لقلوبهم، فأنا عايزة أوسَّع الدايرة دي، عايزة أوصل لقلوب ناس كتير، عايزة أفيد غيري وأستفيد .. والعمل في الإعلام هو أكتر شيء مؤثر، وبيوصل لكل الناس، فلما أقدم برامج مفيدة تفيد الشباب والمجتمع؛ شوف كام حد هيشوف البرامج وكام حد هيستفيد؟!!

قال الخال مبتسمًا:

- تمام يا حبيبتي، يعني عندك رسالة!؟

ابتسمت سلمى وقالت:

- بالظبط.

فقال الخال:

- طيب إيه المشكلة لما الرسالة دي توصليها بالكتابة؟ لحد ما ربنا يريد ويأذن إنك تكملي توصيل الرسالة دي عن طريق شاشة التليفزيون!!

صمتت سلمى قليلا تفكر في كلام خالها ثم قالت:

- أوعدك هفكر.

***

اتصلت سلمى بديما و طلبت منها أن تحضر هي وخطيبها عليّ لتهنئة ديما وعمرو في بيتهما،وبالفعل رحبت ديما بذلك وذهبت سلمى وعليّ إليهما في المساء..

نظرت سلمى حولها فى إعجاب شديد، فقد كان منزل ديما وعمرو جميلا، يعكس ذوقا راقيا فى التصميمات والديكور، الأثاث كلاسيكي مما زاد من جمال المنزل وأناقته، والأرضية من البورسلين الأسود الفاخر، وهناك بعض اللوحات الفنية والمرسومة على الحوائط البيضاء الناصعة..

تبادلوا جميعا الأحاديث، أحست سلمى أن هناك شيئًا خفيًّا تخبئه ديما، هناك نظرة حزن تطل من عينيها، لم تقوَ سلمى على معرفة هل هذه النظرة بسبب ألم فقدانها أختها أماني أم هناك شيئا آخر؟ أخذت سلمى بيد صديقتها وجلستا في غرفة أخرى، وسألتها سلمى ماذا بها؟ ولِمَ هذا الحزن، فانفجرت ديما بالبكاء تحكي لصديقتها كل شيء. كانت سلَمى تسمع لحديث ديما

مذهولة، حاولت أن تهدئ من روعها دون فائدة، استمرت ديما في كلامها وبكائها قائلة:

– أنا عارفة إنك شايفة إني غلطانة في موضوع المحضر وإن مكنش ينفع أعمل كدة مع واحدة كانت صاحبتي، بس اللي عملته كان رد فعل لعمايلها.. أنا كنت طيبة معاها لأبعد الحدود، كنت صديقه وفيَّة، بأحب وباحترم وبقدَّر صاحبتي، عشان كدة وجعي كبير، أنا مش قادرة يا سلمى، مش قادرة بجد، أوقات بيكون فيه ناس متسامحة جدًّا.. لكن بتيجي عند شخص معين ومهما حاولت إنها تسامحه مش بتقدر. .مش سواد قلب لكن بيكون الوجع والجرح صعب جدًّا عليها وبيكون غير متوقع من الشخص ده بالذات.. فمش بتقدر تسامح، بيبقي صعب عليهم لما يفتكروا قدّ إيه كانوا بيحبوا ويضحُّوا ويدُّوا ويكتشفوا إن كل اللي أخدوه كره وجرح ووجع.. حاجات كتير يا سلمى كل ما افتكرها أتوجع.

عارفه يا سلمى أنا عرفت دلوقتى سرّ ارتباكها هي وممدوح لما شافوا بعض، لأن ممدوح كان عارف حقيقتها وعارف ارتباطها بهيثم، وعارف كلامهم عني، ممدوح حكالي إنه اتصدم لما شافها مكنش متوقع إنها جبارة للدرجة دي، وممكن تدخل بيتي وتعمل دور صاحبتي بعد كل اللي عملته، أنا حاسة إني كنت مغفلة أووي، كل اللي حواليَّا كانوا عارفين حقيقتها وأنا لا، متضايقة أووي إني كنت صعبانة عليهم وشايفيني غلبانة، يا سلمى! ده أنا كمان عرفت أن مش هيثم بس اللى كان عايز يبعد بيني وبين عمرو، دي

نرمين كمان حاولت تعمل كده.. تخيلي يا سلمى، أول ارتباطي بعمرو، نرمين كلمت عمرو وقالتله إني ماستاهلوش، وإني بكدب عليه في موضوع هيثم وإنى مش ناويه أسيب هيثم، وفي نفس الوقت عايزة عمرو معايا ـ تخيلي؟؟ تخيلي صاحبتي تقول عليا كدة؟؟

– هوعمرو اللى حكالك كلامها ده؟

– أيوة! عمرو حكالي قريب بعد ما عرفت حقيقتها، ما حكاليش وقتها.. هو ما اهتمش بكلامها وحمد ربنا لما بعدنا عن بعض، وكان فاكر لما رجعنا تاني أنا وهي نتكلم بعد وفاة أماني إنها اتغيرت بس اتأكد إنها ما اتغيرتش، عارفة كمان لما بعتّ لهيثم إيميل، وعمرو زعل مني وهي قالت إنها هتكلم عمرو وتصالحنا على بعض، هي فعلا كلمته بس عارفه قالتله ايه، قالتلوا إنه لازم يأخد موقف مني عشان أنا ما سمعتش كلامه، وبرضه بعت ايميل لهيثم، عشان كده عمرو كلمني، كلمني يصالحني مش عشان هي كانت عايزاه يصالحني زي ما انا كنت فاهمة، ده كلمني عشان حس الشر اللي جواها ناحيتي كبير قد إيه، فصالحني عندًا فيها وعشان ما يديهاش فرصة إنها تفكر توقّع بينا تاني، أنا بجد مصدومة.. ليه ما كانتش عايزة عمرو يكمل معايا، للدرجة دي مش عايزاني أفرح؟ دي أكتر إنسانة عارفة إني باعشق عمرو، ليه كانت عايزاه يبعد عني، ليه كانت عايزة تعمل أي حاجه تكسرني؟!

أنا بجد مش قادرة، دلوقتي بس فهمت معنى نظراتها لما شافت الدبلة في إيدي، وعرفت إن عمرو خطبني، مكنتش مستغربة التوقيت زي ما وهمتني،

دي كانت مستغربة إن محاولتها هي وهيثم فشلت، وإني كملت أنا وعمرو واتمسِّك بيَّا بعد كل كلامهم وقرفْهم، أنا نفسي أعرف ازاي كنت بحس إن كل حضن بتحضنهولي صادق، وهو في الحقيقة كان كدب وحقد وكره، ازاي مقدرتش أفهم حقيقتها غير متأخر أوي.

احتضنت سلمى صديقتها ديما، وبكت معها فهي تشعر بكمّ الوجع الذي يوجد داخلها، سألتها سلمى عن رد فعل نرمين عندما علمت بأمر المحضر فقالت ديما وهي تمسح دموعها:

– لما وصلها هي وأهلها موضوع المحضر اتصلت بكل أصحابنا وقالتلهم إنى عملتلها محضر كذب وافتراء، وبتبلَّى عليها وعملت دور البريئة وبقيت أنا قدام الناس الصاحبة الشريرة المفترية، والناس ما بتصدق يسمعوا حاجة ويمسكوا فيها يردِّدوها من غير حتى ما يتأكدوا من صحتها.

أنهت سلمى وديما كلامهما وذهبتا للجلوس مع عليّ وعمرو، ثم تناولوا العشاء معًا وسط الضحك والكلام، لقد تعمدت سلمى أن تفعل ما بوسعها كي ترى ضحكة صديقتها بعد كل تلك الدموع التي ذرفتها عيناها، وقد نجحت فى ذلك ورسمت خلال ساعات قليلة الضحكة على وجه صديقتها، وانصرفت سلمى وخطيبها.

***

ظلت سلمى تفكر فيما حدث مع صديقتها، يصاحبها ذلك الألم المتكرر في جسدها والذي صار يتكرر معها في الآونة الأخيرة كثيراً ولا تدرك سببه.. لكنها تخفيه خلف قناع من التحمل .. هناك ما هو أهم ويشغلها ، كانت لا تستوعب كم الخيانة والشر الموجود في نفوس بعض البشر، وتذكرت المقولة التي تقول: إن أعداء أعدائك هم أصدقاؤك، فقد نجحت نرمين في كسب الكثير حولها، واستطاعت أن تَجْمع حولها كل من تعرف أنهم شديدو الحقد على ديما حتى يساندوها في ظلمها..

جلست سلمى على مكتبها،، وأحضرت ورقةً وقلمًا، وبدأت أول مقال لها تاركة يدها تكتب ما تشعر به:

"أحيانًا تجد بعض الأشخاص يحاولون أن يشعروا أنك تخطئ، أو حتى يكذبوا على أنفسهم بذلك لعلمهم أنك أكثر منهم نجاحًا وتميزًا..

فمهما كان الإنسان شخصًا جيدًا سيجد من يحاول إقناع نفسه أنه أسوأ شخص في الحياة محاولة منه في إخفاء ما بداخلهم من نقصٍ وحقدٍ وغل..

فذلك النوع من البشر يفرحون عندما يعلمون خطأً ما اقترفه أحد الأشخاص، فيجمعون كل قواهم للفتك بصاحب الخطأ ويحاولون جاهدين الإثبات للآخرين أنهم أحسن منه خلقًا.. على الرغم من أنهم أكثر الناس معرفة بحقيقة المُخطئ وحقيقتهم..

وعلى الجانب الآخر فهناك من الأشخاص التى ظُلمت من لا تسمح له ذاكرته بالنسيان .. فلكل إنسان طاقة من الممكن أن تنفد، ليس معنى عدم

قدرته علي التسامح أنه شخص سيء، وليس معنى أنه يتمنى رجوع حقه ممن ظلمه أنه ذو طبع قاسٍ وقلب أسودَ، هو إنسان، نفس بشرية غير مثالية وله كل الحق أن يُوكل ربهً ليُعيد إليه حقه، له كل الحق ألا يسامح ..

فأرجوك يا من ظُلمت، لا تُرهق نفسك، فلا يُكلف الله نَفسًا إلا وُسعَها.

فهناك أخطاء لا صفح فيها ولا غفران، هناك جروح لا تُداوى سوى برؤيتك عقاب الله لمن تسبب لك فيها، هناك طعنات تُؤلم وتكسر ولا نستطيع أن نمنع أنفسنا بعدها من قول "حسبي الله"، لكن تذكر دومًا يا عزيزي، أن عليك أن تجاهد نفسك ولا تسمح للكراهية أن تتسلل الى قلبك، ولا تسمح لنفسك أن تفكر يومًا في الانتقام..لكن لا ترهق نفسك، ولا تجاهد عدم قدرتك علي الغفران".

***

استمرت الضغوط من الأهل على ديما للتنازل عن المحضر، و وصل إلى والديها اللذين جلسا معها جلسات مطولة يحاولان إقناعها بأن أخلاقها وتربيتها لا تسمحان لها بفعل ذلك، و أن عليها ألا تقابل الإساءة بالإساءة. فيكفيها أن تبتعد عنها وسيأتي اليوم الذي تعرف فيه نرمين أنها خسرت كثيرًا بخسارتها لصديقة كانت تحبها كثيرًا وتعاملها بصدق وحب..

وبالفعل تنازلت ديما عن المحضر مُحاولَةً نسيان ما حدث، ونسيان أنها كانت لديها صديقة تُدعى نرمين في يوم منَ الأيام.

***

" مش ده سيف يا سلمى؟"

قالها عليّ لسلمى أثناء عودتهما من درس قرآن بعدما شاهد عليّ أخاها سيف وهو يمسك بيد شهد في الشارع و يجريان ويضحكان، فأوقف السيارة فجأة.

فابتسمت سلمى فى براءة قائلة:

– أيوه هو، ربنا يسعدهم يارب.

رمقها على بنظرة ملؤها الغضب:

– يسعدهم إيه، ويسعدهم ازاي وهما بيعْصوه، ده أنا اللي اسمي خطيبك ما اقدرش أمسك إيدك كده، إيه الفُجر والوقاحة دي!

صمتت سلمى أمام كلام خطيبها الذي انهال عليها كالصاعقة، ثم حاولت تمالك نفسها وقالت:

– فيه إيه يا علي، حتى لو ده غلط ليه بتتكلم عن سيف كدة، ممكن تدعيله بالهداية بدل أسلوبك ده وتجريحك فيه!

– بلا تجريح بلا زفت، دي قلة أدب وعلني، وياريته مكسوف من نفسه، ده ماشي فى الشارع فرحان بالمعصية.

سكتت سلمى، لم تر أن هناك داعيا للنقاش أكثر من ذلك، وصل عليّ وسلمى إلى البيت، ودخلا يتناولان الغداء باتفاق مسبق. بعد ساعة حضر

سيف في قمة السعادة، وألقي عليهم السلام لكن كان رد عليّ باردًا للغاية مما أربك سلمى جدًّا..

- بعد إذنكم يادوبك ألحق أصلِّي العصر.

استأذنهم سيف لصلاة العصر.

فضحك علي بسخرية قائلا:

- تصلي، هو انت بتصلي؟!!

ردَّ سيف:

أيوه طبعًا الحمد لله! ايه الغريب في كدة؟!

فقاطعته سلمى قائلة:

- ولا حاجة يا حبيبي! ده على بيهزر معاك.

نظر عليّ باستهزاء مما أثار حفيظة سيف قائلاً:

- مالك يا عليّ، من أول ما جيت وانت مش طايقني!

- انا شفتك انت وشهد على فكرة!

فقال سيف:

- اه وبعدين!!

فقال على:

- إيه اللي وبعدين! شوفتك وانت ماسك إيديها وعايشين فى قصة حب غريبة.

– غريبة ليه! عمرك ما شوفت اتنين بيحبوا بعض؟!

– ده ما اسموش حب يا سيف باشا، ده اسمه عدم احترام، اسمه قلة دين و..... "

قاطعته سلمى وهي تصيح:

– عليّ! أرجوك عيب أووي كلامك ده متنساش إنك بتكلم أخويا.

فنظر سيف إليه فى غضب قائلا:

– أنا مش هارد عليك احترامًا لوجود سلمى أختي، ولأنك فى بيتي.

وانصرف سيف خارج المنزل وأغلق الباب خلفه بشدة.

لم تقو سلمى على إخفاء غضبها مما أدى إلى انصراف خطيبها هو الآخر..

سلمى ترى أن عليًّا أهان سيف، وليس له أي حق في ذلك؛ فكل إنسان له الحرية في تصرفاته وليس من حق أحدٍ أن يحكم عليه أو على دينه، وبعد كثير من المشاكل بشأن ذلك الأمر اعتذر عليّ لهما. ولكن الاعتذار وحده لم يكن كافيًا لنسيان ما قاله لهما، وزاد التوتر إلى أن وصل ذروته عندما مرضت جارة لسلمى تُدعى أمنية، و اقترحت صديقة لهما أن يقسموا جميعًا أجزاء القرآن ويختموه بنية الشفاء لأمنية، وطلبت سلمى من علي مشاركتهم تلك الختمة وكان رده:

– يعني إيه خاتمة عشان ربنا يشفيها، إيه الفتْي ده، مفيش حاجه اسمها كدة، لو انتوا عايزين تعملوا كدة فكتر خيركم وأديكم هتاخدوا ثواب

عشان خليتوا ناس من أمثال أمنية يمسكوا مصحف، إنما أنا حد فاهم ومش هاشترك في الخاتمة دي.

استغربت سلمى من رد على وقالت:

- أمثال أمنية!!

فقال علي: " أيوة، واحدة مش محجبة وبتلبسلك جينزات ضيقة وياعالم أصلا بتصلي ولا لا، شكلها ولا بتركعها أصلاً.

قاطعته سلمى قائلة:

- على فكرة يا عليّ، أمنية بتصلي ومواظبة على قراءة القرآن، وقريبة من ربنا جدًّا.

- انتي بتدافعي عن واحدة فاسقة مش محجبة!!

توقفت سلمى عن المناقشة والتزمت الصمت غير مستوعبة كلام خطيبها. من هو ليحكم على شخص آخر إن كان متدينًا أم لا، وكيف يحكم على إنسانة لا يعرفها بذلك الشكل لمجرد أنها غير محجبة، وكيف يحكم على أخيها أنه بعيدٌ عن الله لمجرد أنه رأى موقفًا لم يعجبْه منه.

إلى متى سيظل هناك من يحاسب الناس على علاقتهم بالله، إلى متى سيظل هناك من يحكم على الشخص بمظهره الخارجي، ومَنْ نحن حتى نحكم على شخص آخر، نحن مِن وإلى التراب ولا يحق لنا أن نتدخل بعلاقة أي عبد بربه..

بدأت سلمى ترى ما لم تره من قبل، بدأت تشعر أن عليًّا له آراء متطرفة كثيرة، وهذا لا يناسب وسطية ديننا، ولاحظَتْ ذلك في مواقف كثيرة مما جعلها تعيد التفكير في تلك العلاقة وهل عليّ هو الشخص المناسب لكي تقضي الباقي من عمرها بجانبه؟

***

ساءت علاقة سيف بشهد دون أي سببٍ واضح، وقررت شهد أن تبتعد عنه وقالت له إنه أصبح من المستحيل أن يستمرَّا معا، وأن هناك أشخاصًا كثيرين يتقدمون لخطبتها ووالدتها أصبحت صعبة التفاهم، وطلبت شهد مقابلة سيف للمرة الأخيرة..

تقابلا في مكانهما المعتاد وكان سيف مرتبكا جدًّا وخائفا مما ستقوله شهد فقالت شهد:

- سيف انا فعلاً بحبك، بس أمي ملهاش غيري أنا وأختي وأنا خايفه جدًّا عليها وهي بقيت رافضه علاقتنا نهائيًّا.

فقال سيف:

- فيه حد تانى يا شهد؟!

قالت شهد:

- إيه اللى انت بتقوله ده، هو ده رأيك فيا؟!

قال سيف:

- أنا مش قصدي... بس مستغرب موقفك، ومستغرب إنك هتبعيني بالسهولة دي، ليه مش عايزة تستحملي شوية لحد ما اتخرج واقنع مامتك بيَّا، ليه بتستسلمي من أول الطريق؟!

قالت شهد:

- أنا مش باستسلم... بس أنا لازم أريَّح أمي.

انسحبت شهد وظل سيف مكانه، لم يحاول أن يُنادي عليها، لم يحاول أن يُكمل كلامه معها، وظل صامتًا مذهولا كيف يمكن لقصة الحب التي استمرت سبع سنوات أن تنتهي بهذه السهولة..؟

أما سلمى فطلبت من علي أن يبتعد قليلا حتى يستطيع كلٌّ منهما أن يحدد موقفه من تلك العلاقة، وأن من الأفضل ألا يحاول أحدهما الاتصال بالآخر إلى أن يصلا إلى القرار المناسب..

***

ومن يعش الحياة يظلُّ يفتقدُ..

فجأة توفي والد سلمى .. هكذا .. ودون أية مقدمات.

كان يصلي الفجر، وبعد أن ختم الصلاة ودخل لغرفته لينام، ارتقت روحه إلى دار الحق، كانت الصدمة شديدة عليهما، فوالدهما لم يشتكِ يومًا

من مرض ما، ولم يكن هناك أي تمهيد لوفاته، ولم يتوقعا يومًا أنه سيفارقهما. موت الفجأة وجعٌ لم يُحسب له حساب، في لحظة واحدة يدخل إلى الجسم نفس ولا يخرج مرة ثانية..

جاء عليّ لتقديم العزاء وشعرت سلمى أنه مثل أي شخص أتى ليُعزيها في والدها، لم يكن بجانبها كما كانت تتوقع، لم يخففْ من آلامها بنظرة أو كلمة كما هو مفترض في ذلك الموقف. شعرت أنه حتى في أصعب موقف في حياتها بعيد عنها كل البعد. فالفتاة عندما يتوفى أبيها تشعر بغُربة، هي لا تفقد شخصًا فحسب؛ بل تفقد الآمان، تفقد السند، تفقد الوطن، تفقد الحضن الدافىء أيام البرد الشديد، تفقد طعم الحياة، وتظل طيلة حياتها تبحث عن ذلك الآمان الذى حرمتها الدنيا منه..

أما سيف فانتظر كثيرًا أن تأتي شهد العزاء وتكون بجانبه، ففي مثل ذلك الموقف يتناسى الأهل والأصحاب والأحباب أي خلاف ويكونون بجانب بعضهم، ولكنه تفاجأ بشهد تكتفي بإرسال رسالة مواساة له و رسالة أخرى لسلمى..

فسخت سلمى الخطبة نهائيا بعد انتهاء مراسم العزاء عندما طلب عليّ مقابلتها ظنًّا منها أنه يحاول تصحيح ما فعله ولكنها تفاجأت به يقول:

– يا سلمى! انا مش هفضل مستني كده كتير، بقالنا أكتر من شهر ونص مش عارف انتي ناويه على إيه، يااريت لو ناوية تكملي تقولي ولو مش ناويه تقولي برضه عشان فيه واحدة تانية ألحق أتقدملها.

قالت سلمى:

– مش فاهمة قصدك إيه! يعنى لو أنا مش هكمل في واحدة في دماغك تكمل معاها؟

– أيوة بس أنا باقي عليكي لآخر وقت.

انتفضت سلمى من مكانها وحملت حقيبتها قائلة:

– لا ما تبقاش عليَّا يا سيدي، مش أنا اللي يتقالي فيه واحدة تانية، مادام جيه في دماغك بس إنك عادي ترتبط بغيري ومعندكش مشكلة حد ياخد مكاني يبقى انت ما تلزمنيش أصلاً.

أخذت سلمى إجازة طويلة من عملها لتكون بحانب أمها في تلك الأيام العصيبة، أما سيف فبعد أسبوع من وفاة والده شعر أنه بحاجة إلى حبيبته، التي كانت دائمًا بجانبه مرتبطين طيلة سنوات سبعة، وبرغم كل ما حدث منها قرر الذهاب لها.. كان يتوقع عند ذهابه إليها أنها ستجري إليه كالطفلة وترتمي في أحضانه وتبكي وتشرح له، لماذا لم تهتم بأن تكون معه في تلك الفترة؟ وعند وصوله أسفل منزلها أرسل إليها رسالة طلب منها النزول وأبلغها أنه ينتظرها أسفل المنزل كما اعتاد دومًا..

بعد أقل من خمس دقائق نزلت هي وأختها وأمها وشخص آخر غريب لم يره من قبل، فذهب في اتجاههم ونظرت الأم إليه من أعلى إلى أسفل قائلة له:

– إنت مين؟!

فابتسم ابتسامة سخرية من شدَّة سخافة الموقف وقال لها:

- أنا سيف!

كان من الممكن أن يجرح شهد وأمها ويحرجهما أمام ذلك الغريب، كان من الممكن أن يضع يده في جيبه ليخرج الهاتف الخاص به، ويفتح ألبوم الصور وسجل المكالمات، ويقول أنا سيف الذي يمسك بيد ابنتك في أكثر من ألف صورة، أنا سيف الذي تتصل به ابنتك في اليوم أكثر من عشر مرات، أنا سيف الذي تقضي معه ابنتك نصف يومها.. ولكن أخلاقه منعته من أن يفعل ذلك، أو أن يضع الأم وابنتها في ذلك الموقف أمام الشخص الغريب.

انسحب سيف وقد امتلأت مقلتاه بالدموع.. لكنه أَبَى عليهم معانقة خديه، واستقل سيارته وهو لا يصدق ما قد حدث، لماذا صمتت شهد أمام أفعال والدتها المُريبة؟ لماذا أنكرت الأم معرفتها به كليًّا؟، ومن ذلك الغريب؟ والأهم.. لِم لَمْ يهتز لشهد طرف؟..

أسئلة كثيرة لا يوجد لها إجابة شافية سوى أن هنالك أشخاصًا بالفعل معدومي الأصل، ومعدومي الإحساس بالغير، ناكرين لكل شيء جميل مهما حاولوا التظاهر بأنهم أشخاص رائعون، أو لهم من الطيبة نصيبٌ، ومثل هؤلاء الأشخاص لا يستحقون أن نفكر فيهم، كل ما يستحقونه هو أن نحمد الله الذي عافانا منهم ومما هُم فيه..

***

فقدان شخص غالٍ على قلوبنا أمر فى غاية الصعوبة والألم على المقربين من ذلك الشخص ومن الممكن أن يصيبهم باضطرابات نفسية كبيرة تغير حياتهم. و رغم أن الموت هو الحقيقة الوحيدة المطلقة فى هذه الحياة، ورغم معرفتنا أن هذه هى الحياة، نسير فيها ولا نعلم متى يسترد الله وديعته؟ و رغم أننا على يقين بأن كل نفسٍ ذائقةُ الموت، والموت هو المصير الذى نسير إليه جميعا مهما طالت الأيام و امتد العمر، إلا أن مشاعر الحزن والوجع تصل إلى أبعد سماء. لا نتخيل كيف لنا أن نعيش من دون من نحب، لا نقو على استيعاب ما يحدث حولنا من تغيرات، لا نستطع فهم كيف يمكن أن تستمر الحياة بدون أن يشاركنا فيها من نُحب. ومن الطبيعي أنه بعد وفاة أي شخص عزيز علينا أن نتأثر بذلك أيضا من الناحية الدينية، و تسيطر علينا عظة الموت خصوصًا إن كان موتًا مُفاجئًا كما حدث لوالد سلمى وسيف. ونحاول التقرب إلى الله أكثر ونحاول الاستعداد للموت الذي نوقن بأنه كثيرًا ما يأتي دون سابق إنذار. ولكن لم يحدث ذلك مع سلمى، فصدمتها في خطوبتها وفي خطيبها أثَّرا فيها سلبًا. بدأت تشعر أن المظهر الديني لا أهمية له أمام ما بداخل الإنسان. فقررت خلع الحجاب. لا أحد يُنكر أن هناك مئات المحجبات اللاتي يقُمْن بكثير من التصرفات السيئة التي لا تُرضي الله، وأيضًا هناك الآلاف من غير المحجبات يفعلْن الخير وتؤدين الصلوات والسنن ومعظم ما يخص أمور الدين على أكمل وجه ويصبحْن عند الله في مرتبة عالية جدًّا، ولكن كل هذا لا يصح أن ينتقص من قيمة الحجاب أو أهميته، فالحجاب فرض مهما كانت تصرفات من يرتدونه..

بدأت رحلتها مع الوصول لحلمها، الذي كان الحجاب أكبر عائقٍ أمامه. فهناك الكثير من القنوات الفضائية لا تقبل به، وبدأت تبحث وتقدم في وظائف كثيرة في التليفزيون المصري والقنوات الخاصة ولكن بلا فائدة..

في تلك الفترة استمرت في عملها في الشركة السياحة، واجتهد سيف في دراسته أكثر، وحملت ديما في طفلها الأول..

وبعد سنة من بحث سلمى عن قناة مناسبة، تم قبُولها في قناة فضائية جديدة تبحث عن مذيعات جُدد وتقدمت سلمى لها، وأثناء التدريبات في القناة، تعرفت إلى مخرج البرنامج الذي ستقوم بتقديمه، وارتاح كلٌّ منهما للآخر ونشأت بينهما علاقة عاطفية..

تنازلت سلمى عن الكثير من مبادئها لتحصل على تلك الوظيفة؛ فأول موقف لها في القناة وهي جالسة مع المخرج والمُعد ومنتج البرنامج وهم يدخنون بشراهة، عرض عليها المنتج سيجارة وعندما رفضت قال لها:

- خدي يا بنتي، مالك دي سيجارة، هو أنا بشربك بانجو!

فضحك الجميع وشعرت سلمى بالإحراج؛ فأخذتها وكانت أول سيجارة لها رغم أنها كانت من أكثر الناس الكارهين لشرب السجائر، أصبحت تسمح أن يوصلها أي منهم إلى بيتها بعد منتصف الليل وهذا كان عكس مبادئه. تغيرت سلمى كثيرًا حتى تواكب الوسط الذي اختارت أن تكون فيه..

هكذا بدأت قصتها مع التنازلات، فبعد أن كانت تحلم بتقديم ما هو هادف ومفيد ويقربها إلى الله، قبلت بتقديم برنامج غنائي يعرض أحدث أغاني الفيديو كليب، حاولت أمها كثيرًا تذكيرها بحلمها في تقديم المفيد ولكنها أصبحت لا تسمع سوى صوت نفسها، بدأ اسم سلمى ينتشر بين كثير من الناس، وكانت تغطي أخبار الأغاني الجديدة بنفسها هي والمخرج عاصم، فتذهب إلى حفلات الغناء وأماكن تجمعات الفنانين وسهراتهم، وتشرب البيرة ظنًّا منها أن هذا هو التقدم والتحضر..

كان عاصم يحمل كأسه فى أحد الحفلات متجاهلا الجميع وينظر إلى سلمى في فستانها الأسود القصير قائلا:

- عارفة يا لومي بقالنا قد إيه مع بعض؟

ابتسمت سلمى قائلة:

- تقريبا ٥ شهور، من أسعد أيام حياتي.

فقال عاصم بعد ان أرتشف من كأسه رشفة صغيرة:

- طيب مش يالا بقى؟؟

تعجبت سلمى ماذا يقصد، وسألته عن قصده فقال:

- يعنى ٥ شهور آخرهم كان بوسة، هندخل في الغويط امتى؟؟

فضحكت سلمى قائلة:

- لا يا خفيف! الغويط ده بعد الجواز إن شاء الله.

نظر إليها عاصم باستغراب قائلاً:

- جواز إيه؟؟

- جوازنا.

- ومين قال أصلا إننا هنتجوز؟

- يعنى إيه، أُومَّال علاقتنا دي آخرها إيه

- آخرها إننا نفضل نحب بعض، إنما مش الجواز ..

من فرط عصبيتها وقسوة كلماته، نظرت إليه سلمى نظرة مليئة بالاحتقار. وأخذت حقيبتها و انصرفت، وظلت طول طريقها للمنزل تفكر فيما قاله عاصم وفيما لَمَّح إليه. كانت تظن أن حبهما نهايته زواج، رغم أنه لم يعرض عليها الزواج أو الخطبة، ولكنها توقعت أن ذلك بسبب قصر فترة معرفتهما وأنه سيعرض عليها الأمر يومًا ما..

وصلت إلى منزلها ودخلت غرفتها وظلت تبكي كثيرًا فهي بالفعل أحبَّت عاصم وتمنته زوجًا لها، رغم أنه عكس صفات فارس أحلامها الذي حلمت أن يكون متدينًا وقريبًا إلى الله، ولكن تلك الأحلام كانت أحلام سلمى المُتدينة القريبة من الله. ولكنها الآن أصبحت سلمى أخرى، أصبحت تُصلي يومًا ويومًا لا، فأصبح عاصم هو المناسب لها..

نامت وهي تبكي واستيقظت ظهرًا على جرس هاتفها المحمول، فأجابت لتجد صوت منتج البرنامج يصيح:

- إيه يا سلمى ده! مش قايلك الساعة ١١ تكوني هنا؟

نهضت كالملسوعة وارتدت ملابسها وأسرعت إلى الاستوديو، وإذا بها تلتقي بعاصم الذي ابتسم لها ولكنها تجاهلته.

بدأ عاصم معاملته السيئة مع سلمى، دائمًا ما يشتكي من عملها ويتهمها بالإهمال والتقصير فيه، حتى أصبح عليها ضغط كبير لا تقْو عليه، أدركت الأمور وأصبح كل شيء واضحا أمام عينيها، إما أن تكون له من دون زواج أو أن تنتهى رحلتها فى القناة.. قبلت سلمى التحدى، باتت لا تنام، أصبحت تُرهق نفسها كثيرًا حتى تحاول أن تفعل كل ما بوسعها كي لا يجد عاصم أي شيء لينتقدها فيه..

وبعد محاولات من عاصم في أن تستمر علاقتهما، وأن تتطور إلى الحد الذي يرضيه، وبعد رفض سلمى لما يفكر فيه، فكرت سلمى في أن تترك البرنامج وتدفع الشرط الجزائي لانسحابها..

كانت في حيرة هل تترك العمل الذي طالما حلمت به حتى تكسب نفسها وكرامتها؟ أم تتنازل عن مبادئها كما تنازلت عن حجابها وتُكمل في الطريق الذي رسمته لنفسها؟ وظل الصراع قائمًا داخلها بين ما يريده عقلها وما يتمناه قلبها..

كان الصراع داخلها لا يخمد والنار لا تنطفىء، فمنذ أن تنازلت عن حجابها وهى تحقق النجاح فى عملها ولكنها تفتقر لكل الراحة النفسية وراحة البال فى حياتها، كأن حجابها أخذ معه كل خير وبركة، و رحل..

فحجابها بالنسبة لها لم يكن غطاءً للشعر فحسب، حجابها نورٌ قذفه الله في قلبها، دائماً ما كانت تُحاول أن تُراقب تصرفاتها حتى لا تُسيء إلى نعمة الحجاب، يُذكرها حجابها دائما بعقيدتها ودينها وواجباتها. شعرت سلمى أنها منذ تفريطها في حجابها فرطت في كل ما هو جميل معه..

***

أضحى سيف في سنتة النهائية في الجامعة، لكنه في فترة امتحانات ال mid term أصيب بإرهاق شديد جدًّا وحال ذلك الإرهاق دون حضوره بعض الامتحانات، فأسرعت والدته بالاتصال بالدكتور فهمي؛ الدكتور في كلية طب عين شمس؛ والذي كانت تجمعه صداقة قديمة بوالد سيف رحمه الله، وطلبت منه الذهاب لكلية سيف ليوضح لهم مرض ابنها الشديد.

وأثناء وجود الدكتور فهمي بكلية سيف التقاه أحد الأساتذة بالجامعة يُدعى أحمد الليثي فذهب إليه قائلاً:

- هو حضرتك دكتور فهمي، الدكتور في كلية الطب؟

فقال دكتور فهمي:

- أيوه أنا.

فصافحه دكتور أحمد الليثي قائلاً:

- أنا أحمد الليثي أستاذ بكلية الهندسة هنا.

فقال دكتور فهمي:

- أهلاً بحضرتك! كويس إني اتعرفت بيك، أنا جاي النهاردة بخصوص سيف عمر ابن صديق ليا، سيف الفترة دى مريض جدًّا وده سبب عدم حضوره بعض الامتحانات، فكنت عايز أعرف الإجراءات عشان يعيد الامتحانات بعد ما ربنا يتم شفاه إن شاء الله.

فابتسم أحمد الليثي قائلاً:

- طبعًا يا فندم، ادينى نمرتك وهاتواصل مع إدارة الكلية وأبلغك.

شكره دكتور فهمي للمساعدة و انصرف، وظل دكتور أحمد الليثي مكانه مبتسمًا ابتسامة غير مفهومة..

***

في أحد الأيام .. وأثناء جلوس سلمى في أحد الكافيهات لاحتساء قهوتها إذا بسيدة منتقبة تمر في الشارع أمام الكافيه وتنظر لها من خلف الزجاج، استغربت سلمى من هذه السيدة المنتقبة ولماذا تقف أمامها هكذا؟ ولكن سرعان ما انتهت الحيرة عندما أسرعت السيدة بالدخول إلى الكافيه قائلة لسلمى:

- انتى سلمى عمر؟

فقالت سلمى:

- أيوه أنا! أهلاً بحضرتك.

ظنت سلمى أنها واحدة من مشاهدي البرنامج، فإذا بالسيدة تجلس على الكرسي المقابل لسلمى قائلة:

- مش قادرة أصدق!

تعجبت سلمى من النبرة التي خرجت من تلك السيدة في كلامها فقالت سلمى:

- هو في ايه، حضرتك مش قادرة تصدقي إيه؟

نظرت السيدة حولها، وعندما لم تجد رجالاً فحركت الكرسي الذي تجلس عليه حتى أصبح وجهها للحائط رافعة النقاب من عليه، نظرت إليها سلمى بتعجب ودهشة قائلة:

- خديجة!..

إنها خديجة صديقتها من أيام الدراسة، مر من العمر حوالي عشر سنوات، لم تلتقيا، فلقد تزوجت خديجة في السنة النهائية من الجامعة وانتقلت لتعيش مع زوجها فى مدينه المنصورة. لم تكن سلمى تعرف أن خديجة ارتدت النقاب، وفي نفس الوقت لم تكن خديجة على علم بأن سلمى خلعت الحجاب وعملت بالإعلام، فخديجة ممن يرون أن التلفزيون من المحرمات فلم تشاهد سلمى بعد أن أصبحت مذيعة.. وبعد أن استعادا سويا أيام المدرسة والجامعة، سألتها سلمى عن أخبارها؟ فأجابت خديجة:

- محصلش نصيب انى أكمل مع زوجى اكتر من كده، فرجعت من المنصوره أنا والاولاد من شهرين وحاليا قاعده مع أمى فى بيتها فى عباس العقاد.

– ماشاء الله انتى عندك أولاد ؟

– الحمدلله، معايا حمزة، وعمرو، وبلال.

– ما شاء الله، ربنا يخليهملك.

وبعد أن تحدثا قليلا عرفت خديجة من سلمى عن عملها الجديد فى الإعلام قالت خديجة:

– انتي ازاي وصلتي لكده يا سلمى؟ تقلعي الحجاب، تسيبي فرض ربنا عشان خاطر شغل، ده ربنا اللى بيرزق يا شيخه وبيعطي، ده بدل ما تستعيني بيه وتقربي منه عشان يرزقك تحقيق حلمك اللي أصلاً حرام.

قاطعتها سلمى قائلة:

– ليه حرام، شغلي كمذيعة مش حرام، هو أنا رقاصة؟

فقالت لها خديجة:

– مش هاتناقش معاكي في المهنة دي بالذات، بس اسألي نفسك، وانتي حاطة ميك أب أوفر كدة وسايبة شعرك وكاشفاه ولابسة اللبس البشع ده، كام واحد اتفتن بيكي من شاشة التليفزيون، كام واحد بص عليكي وعلى عينك وشعرك وجسمك، انتي ازاي مُغيبة كدة، مش دي سلمى اللي أنا أعرفها، سلمى اللي كانت بتحاول ترضي ربنا وتقرب منه، سلمى اللي التزمت زمان بحجابها وبأخلاقها وحاولت تحسن من نفسها، انتي إيه اللي جرالك؟

أجابت سلمى بعصبية:

– فيه إيه يا خديجة! انتي ليه محسساني إني بقيت شيطانة، ما نُص بنات مصر مش مُحجبين وبيلبسوا زي ما انا لابسة، أنا ما أجرمتش، كمان أنا مالي مين هيفتن بيَّا أنا واحدة بأدي عملي وبس، ومماليش دعوة بتفكير الناس المريضة.

قالت لها خديجة:

– نص بنات مصر مش بيراعوا ربنا... انتي تبقي زيّهم؟ شاطرة تصدقي أقنعتيني.

غضبت سلمى كثيرًا وطلبت منها الانصراف لأنها لم تقْو على تحمُّل كلامها أكثر من ذلك، فسمحت لها خديجة، وأمسكت بموبايل سلمى المُلقى على الطاولة وسجَّلت فيه رقم هاتفها قائلة:

– أنا سجلت لك نمرتي يا سلمى... لازم نكمل كلامنا.

أجابت سلمى وهي مُنصرفة انزعاجًا منها ورغبة في التخلص من حديثها:

– إن شاء الله.

غادرت سلمى الكافيه في أوْج غضبها؛ فخديجة متعصبة لرأيها، وهذا ما تكرهه سلمى في أيّ شخص يدعو للدين أو أي شيء آخر. انصرفت سلمى تردد في عصبية واستياء:

– وكمان فاكرة إني ممكن أتصل بيها، ياارب ما اشوفش وشِّها تاني.

***

" كفاية يا عاصم!! إنت عايز مني إيه؟!"

رفضت سلمى لقاء عاصم بعدما ألحَّ عليها في الاتصال مرارًا وتكرارًا، وأغلقت الهاتف في وجهه، انفعل عاصم من تلك الإهانة وأرسل إليها رسالة قائلاً:

- يا أنا يا إنتي يا سلمى في القناة، إما ورِّيتيك مابقاش أنا عاصم الشريف!

هكذا بات الأمر بينهم مشتعلاً .. وهكذا .. عند هذا الحد .. أحست سلمى أن حيرتها على وشك الانتهاء ولا مفرَّ من تركها للبرنامج والقناة..

***

في البيت، عرضت عليها والدتها الذهاب معها لحضور درس إسلامي في المسجد ورحبت سلمى، فمنذ فترة طويلة لم تحضر أي ندوات أو دروس دينية، انطلقا صوب الدرس الذي تحدث الشيخ فيه عن معنى جملة "من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه": فقال الشيخ في درسه:

- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يوسف: ٣٣: ٣٤].

ثم أتبع الآية بقوله:

- وتفسير الآية يا أحبَّتي، أنه عندما ترك سيدنا يوسف عليه السلام امرأة العزيز لله واختار السجن على الفاحشة، فعوّضه الله، أن مكّنه في الأرض

يتبوأ منها حيث يشاء، فتأملْ كيف جزاه الله سبحانه وتعالى على ضيق السجن، وأذلّ له العزيز وامرأته، وأقرّت النسوة ببراءته، وهذه سُنّته تعالى في عباده قديمًا وحديثًا إلى يوم القيامة، أن من يترك شيئًا ابتغاء وجه الله تعالى عوضه الله خيرًا منه.

بكت سلمى وهي تسمع كلام الشيخ، بكت عندما تأملت حالها، بكت وهي لا تصدق ما فعلته بنفسها بعد أن كانت ملتزمة بحجابها وتركته بسبب تجربة فاشلة مرت بها علَّمتها أن المظاهر ليست كل شيء، كما أن خلع حجابها جر وراءه الكثير. فأصبحت لا ترتدي الملابس المحتشمة، وأصبحت تشرب السجائر، وأصبحت أيضًا في الحفلات تشرب المُنكرات.

كان جسدها يرتجف وتتمنى أن توقف دمعاتها، من خلف ستار الدموع تنظر إلى وجه أمها التى علمت ما يدور في عقل ابنتها وسعدت بأنها بدأت تفيق مما هي فيه. وأثناء بكائها إذا بيدٍ تعطى لها منديلا لتمسح دموعها، أخذت سلمى المنديل وبدأت تشكر من أعطاها إياه وإذا بها خديجة. أراد الله أن تحضر معها نفس الدرس وأراد الله أن تجمعهم الصدفة للمرة الثانية، فاحتضنت سلمى خديجة وظلت تبكي كثيرًا وهي تستغفر الله..

انتهى الدرس، وعادت سلمى بصحبة أمها إلى المنزل، وظلت تفكر بتلك الصدفة التي جمعتها بخديجة، الصدفة لم تكن بسبب رجوع خديجة للإقامة فى حى مدينة نصر من جديد فحسب، ولكن هناك العديد من الرسائل التي يرسلها الله لنا خلال حياتنا، وكل رسالة تكون في وقتها المناسب، ولكن

الفرق بين شخص وآخر هو أن هناك من يهتم بفهمها وتكون له عظة وعبرة، وهناك من يمضي دون النظر إليها ولا الاعتبار منها. فوالدة سلمى لم تكن تعرف موضوع الدرس لتحضر ابنتها، ولكن الله أراد لسلمى الحضور وأراد لها أن تسمع هذه الخطبة، وأراد لها أن تبكي وتشعر بما اقترفته من ذنب لتعود إليه مرة ثانية.. وبعد عودتها للمنزل دونت ما تشعر به كعادتها :

"كم أنت رحيم يا الله، كم نخطئ في حقك وتقبلنا عندما نأتيك تائبين.. حقًّا كلنا مخطئون.. مقصرون.. مذنبون.. عاصون لله.. نُقبل على الله تارة، وتارة نُدبر ونولي ظهورنا، لكن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة العاصي كرمًا منه وإحسانًا علينا نحن بني البشر الضعفاء".

***

اتصلت سلمى بمسؤول القناة وطلبت منه الراحة يومين بعذر الإجهاد، ووافق على تلك الإجازة القصيرة. كان عليها ترتيب ما بداخلها، لم يكن الإجهاد هو مانعها من العمل .. ولا ذلك الوجع المتكرر الذي زادت وطأته عليها .. كانت فقط في حاجة لفترة صفاء مع النفس لتعرف ماذا عساها أن تفعل؟.. شعرت كم قصَّرت في حق خالقها، شعرت بجُرمها عندما عَصَت الخالق في سبيل تحقيق أحلامها.. لا تعرف لماذا كانت صورة خديجة صديقتها المنتقبة هي أول ما تبادر إلى ذهنها في هذه اللحظة .. ؟

شعرت أنها بحاجة ماسة لها .. فاتصلت بها وطلبت منها الحضور قائلة:

- خديجة هو ممكن تجيلي، انا بجد محتجالك جدًّا!

حضرت لها خديجة بعد أقل من ساعة، وبعد تناولهما الشاي بدأ الحديث، قالت سلمى:

– أنا اخترتك انتي أتكلم معاكي عشان عارفة إنك قريِّبة من ربنا، بصرف النظر إنك بعض الأحيان بتكونى أوفر شويه في أسلوبك، بس حسيت إنك ممكن تنصحيني وتسمعيني بقلبك.

– أوفر شوية؟ ماشي يا ستي هعديهالك، أنا سمعاكي يا سلمى!

اعتدلت سلمى في جلستها قائلة:

– بصي يا خوخة، أنا عارفة إن أنا غلطت، وعارفة إني عصيت ربنا، لكن أنا ماقلعتش الحجاب عشان خاطر التليفزيون، آه مش هانكر أن السبب ده كان من ضمن الأسباب لكن مش الأساسي.

– أُمَّال ليه يا سلمى عملتى كدة؟! رغم إنك كنتي مقتنعة بفرض الحجاب لما لبستيه!!؟

– أنا لحد دلوقتي مقتنعة، بس أنا كنت مُشوَّشة، أنا اتخطبت فترة لشخص مُتدين، وكان بيعِيني على الطاعة وأعمال الخير، لكن مع التعامل والوقت اكتشفت إنه فيه صفات وحشة جدًّا على عكس مظهره المتدين ده، حسيت إني تايهة، وإن الدين مش حجاب ودقن، يعني أنا عندي أكون مش محجبة وكويسة في تعاملي مع الناس ولا إني أكون محجبة ومش كويسة؟

ردت خديجة ضاحكة:

- وإيه المانع تكوني الاتنين، تكوني إنسانة ملتزمة ومحجبة وبرضه كويسة وبتتعاملي حلو مع الناس وبتسعي إنك تحققي أحلامك؟

- انتي عندك حق! بس أنا كان تفكيري مشوَّش جدًّا، وبعديها قولت فرصة عشان تكون فرصتي أحسن في تحقيق الحلم اللي طول حياتي باحلم بيه.

أجابت خديجة:

- وحققتيه؟

قالت سلمى متسرعة:

- طبعاا، أنا حطيت رجلي على أول الحلم، أنا دلوقتي الناس بتعرفني في الشارع رغم إني في قناة صغيرة بس اسمي اتعرف نوعًا ما.

- بس ده مكنش حلمك! انتي كان حلمك تقدمي برنامج ديني أو اجتماعي يفيد الناس والمجتمع ويرضى ربنا عنك، مش برنامج أغانى ورقص وكليبات، وإن الناس تعرفك في الشارع.

صمتت سلمى تفكر في كلام صديقتها ثم أردفت:

- أيًّا كان يا خديجة! أنا مرِّيت بظروف في القناة دي ولازم أسيبها، وعايزة ألبس الحجاب تاني، بس المشكلة إن فيه شرط جزائي في عقدي مع القناة،

والمبلغ كبير جدًّا، لو دفعته يبقى هادفع كل الفلوس اللى معايا وأخد من ماما كمان.

– زى ما الشيخ قال بالظبط يا سلمى، من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، مش مهم المال، مش مهم البرنامج، مش مهم حتى حلمك عشان فيه حلم أهم وأقوى.

استغربت سلمى قائلة:

– حلم إيه؟؟

أجابت خديجة بابتسامة:

– الجنة!

ارتاحت سلمى كثيرًا بعد كلامها مع خديجة، فهي الآن بحاجة إلى من يأخذ بيدها إلى الطريق الصحيحة، وخديجة هي الأنسب لذلك، قررت سلمى دفع الشرط الجزائي وتركت العمل في القناة نهائيًّا، وقررت أيضًا ارتداء الحجاب مرة أخرى. حاولت والدتها إقناعها بأن تفكر جيدًا في الأمر حتى لا يأتي اليوم الذي تتنازل فيه عن حجابها كما فعلت في السابق. ولكنها لم تستجب وارتدت الحجاب في نفس اليوم الذي تركت فيه عملها..

***

اتصل الدكتور فهمي بوالدة سيف وكان صوته مليئًا بالحزن، توجست من صوته قائلة:

– فيه ايه يادكتور فهمي؟!

فقال دكتور فهمي:

– مش عارف أقول لحضرتك إيه والله، أنا رحت الكلية عند سيف وبلغت فعلا بتعبه ومعظم الدكاترة تفهموا الموقف وهيعيدوا الامتحان.

– طيب جميل جدًّا، فين المشكلة؟

قال دكتور فهمي:

– المشكلة في دكتور اسمه أحمد الليثي دكتور إدارة المشروعات، للأسف لقيته جايلي الكلية النهاردة الصبح، وقالي إنه ابنه عندي في القسم وبقاله ٣ سنين مش بينجح في المادة بتاعتي، وطلب مني إني أنجَّحه في مقابل إنه مايحطش سيف في دماغه.

قالت الوالدة:

– يحطه في دماغه ازاي، سيف أصلا شاطر في دراسته ومش محتاج مساعدة ولا غيره.

فقال الدكتور:

– أنا فاهم ده كويس، بس نبرة الليثي مكنتش مريحاني، وبعد ما رفضت كلامه وعرفته إني مستحيل أنجَّح أي شخص مايستاهلش إنه ينجح لقيت في عينه نظرة تحدي مخوفاني.

انهت والدة سيف المكالمة وهي في شدة القلق، فسيف أصبح في السنة النهائية وأمامه شهور فقط ليتخرج، خافت مما سيفعله الليثي، ولا تعلم هل كلامه مع دكتور فهمي تهديد أم أنه مجرد كلام في وقت غضب؟؟

***

تكررت لقاءات سلمى وخديجة، تلك التي أزعجت والدة سلمى قليلاً، فخديجة إنسانة محترمة ومتدينة، لكن والدة سلمى ترى أنها متطرفة في بعض الآراء، وسلمى نفسها كانت ترى ذلك من قبل، ولكنها في تلك الفترة لا ترى سوى رغبتها وحبها في أن تكون بجانب خديجة..

أصبحا يحضران الدروس الدينية سويًّا، أصبح لسلمى وردٌ يوميٌّ من القرآن الكريم، مسحت جميع قنوات الأغاني والأفلام، وأصبحت لا ترى سوى قناتي اقرأ و المجد..

وفي يوم من أيام جلوس سلمى مع خديجة في حلقة لتفسير القرآن، كان هناك سؤال يدور في بال سلمى وهو النقاب، فالدرس به أكثر الفتيات اللاتي يرتدين النقاب، فتناقشت في ذلك مع خديجة بعد انتهاء الدرس..

- خوخة! انا كنت عايزة أعرف خطوة النقاب جات ازاي عندك، رغم إني ما افتكرش إن عيلتك فيها بنات منتقبة.

ضحكت خديجة قائلة:

- لازم أحاول أكون صح حتى لو كل اللي حواليَّا غلط.

- غلط ليه بس! ما أصلاً النقاب فضيلة مش فرض، المهم هو انتي صحيح اتنقبتي ازاي، يعني قصدي إيه طلَّع الموضوع في دماغك؟؟

- بصي يا سلمى! أنا هاحكيلك حكايتي مع النقاب من الأول؛ بُصي يا ستي! أنا أولاً زي ما انتي عارفة من بيت ملتزم إلى حد كبير، وكنت طول عمري لبسي محافظ من ناحية إني اتربيت على كدة، ومن ناحية تانية لإني بحب اللبس كدة أصلا، وكانت فكرة النقاب بعيدة عني تمامًا، بس كنت بشوفه كتير في المسجد وكنت بحب اللي بيلبسه، الكلام ده لحد آخر سنة في الجامعة تقريبًا، بعد كدة بحكم الدروس وحلقات الذكر، بدأت أقرَّب أكتر من المنتقبات اللي موجودين حواليَّا في المسجد أو المنطقة، وبنتقابل كتير وبقيت كمان صحبتهم جدًّا رغم فارق السن لأن كلهم أكبر مني، وكان عندنا جارتنا منتقبة وماما بتودِّيني عندها من وأنا صغيري عشان تحفِّظني القرآن، كانت بتدينا درس كمان في الدين والسنة والعقيدة وكدة، وهي دي اللي كان ليها الفضل عليَّا، كنت باشوف علاقتها بصحباتها المنتقبات فووق الروعة من ضحك وحب وهزار ولعب وخروج، هي مكنتش كبيرة أوي بس باعتبرها صاحبتي ومعلمتي في نفس الوقت، المهم مرة في ميعاد الدرس لقيت البنات فرحانة جدًّا وعاملة هرج ومرج فبقولهم في إية؟ قالوا لي الحمد لله احنا عرفنا نجيب كتاب محمد العريفى "إنها ملكة"، فأنا بجهلي قلت باستنكار ماله! اشمعنى الكتاب ده انتوا فرحانين بيه ليه أووي كدة؟ قالوا لي انتي مجنونة دة وهْم وبيتكلم عن مدى تمسك البنت بإسلامها ودينها وعقيدتها..

المهم طنط صاحبة ماما اليوم ده جت تدِّينا الدرس كالعادة.. فالبنات طلبوا منها إنها تشرح الكتاب أو تتكلم عنه، وعلى فكرة البنات دي كانوا منتقبات تقريبا كلهم، طلع الكتاب بالفعل روعة بجد بس أنا أخدته من ناحية النقاب وفكرته، مع أن فكرة النقاب كانت بعيدة عني، والكتاب جزء صغير أوي فيه عن النقاب، لكن الكتاب اداني بصيص من النور كدة، وقالي بصي وشوفي روعة الإحساس والكلام، ويمكن كان فتح من ربنا عليَّا بالنعمة دي... فأخذت الكتاب استعارة تاني يوم ومش لحقت أقرا منه كتير غير كام صفحة، بس هى قالتلي الفكرة مُجملة.

وبالفعل لاقيت نفسي بقول طب أنا مش لابسة النقاب ليه... وقعدت مع نفسي شوية وأخدت القرار إني ألبسه، كل ده كنت فاهمة زي بقية الناس إنه فضل أو سنة، وقلت لنفسي أنا مُطالبة بالسُّنة فليه معملهاش؟

قاطعتها سلمى قائلة:

- يعني إيه كنتي فاكرة زي بقيت الناس ما هو فعلاً فضل؟

ابتسمت خديجة قائلة:

- استني عليَّا بس أكملك.

فقالت سلمى:

- اتفضلي!

أكملت خديجة قصتها مع النقاب قائلة:

- كلمتها وقولتيلها إني عايزة ألبسه، قالتلي امشي في البداية الخطوات صح؛ إني آخد الأول النية وأخلصها لله، واقرأ عن النقاب كتير من ناس موثُوق منها، وإني أدعى ربنا إنه يعيني على الطاعة دي، بالفعل عملت كدة ودعيت في البداية أن ربنا يشرح صدري للنقاب بس كنت بعمله بنية إنه سُنَّة مش أكتر، وابتديت أقرأ كتب وتفاسير للقرآن، وكانت الصاعقة إني وصلت إلى إن النقاب فرض... فرض... فرض.

ظهر على ملامح سلمى الاستغراب مما تقوله خديجة؛ فهي تعلم جيدًا أن النقاب فضل وليس فرضا!

استمرت خديجة في كلامها:

- بس يا ستي، واتكلت على الله ولبست النقاب.

قالت لها سلمى مبتسمة:

- ربنا يثبِّتك! ما دام نيتك رضا ربنا سبحانه وتعالى، لكن برضه يا خديجة أنا متأكدة أن النقاب مش فرض!

قاطعتها خديجة بهدوء:

- سلمى! أنا بحثت كتير جدًّا، وجبت تفسير الآيات القرآنية للقرطبي وابن كثير وعلماء موثوق فيهم، واتأكدت أنه فرض على البنت خصوصًا بسبب الفتن والمجتمع القذر اللى بقينا عايشين فيه، لأنه حماية وعفَّة ليها.

فهزت سلمى رأسها علامة قبولها للكلام، لكنها لم تقتنع أبدًا بكلام خديجة فيما يتعلق بفرضية الحجاب.. فقالت لها سلمى:

- طيب رد فعل أهلك كان إيه! بما أن محدش خالص في عيلتك لابس النقاب؟

ضحكت خديجة قائلة:

- ماما وبابا عادي ما اعترضوش، بس أخويا بقي وشوية من قرايبي فضلوا يقولولي مش هتلاقي حد يتجوزك وهتعنِّسي والكلام الأهبل ده، مع إن والله العظيم يا سلمى اللي طلبوني للزواج بعد النقاب أكتر كتير من اللي طلبوني قبله، النقاب ده عفة وستر للبنت، بيحسِّسها إنها ملكة بتمشي على الأرض، مش مسموح لأي مخلوق يشوف أي جزء منها ولا حتى شعرها، النقاب بيسد باب الشيطان عنك وبيربيكي تربية دينية صحيحة.

قاطعتها سلمى متسائلة:

- يعني إيه، مش فاهمة؟!

- يعني فيه حاجات كتير كنت باعملها قبل النقاب مبقتش أعملها بعده، زي مثلاً السينما، أنا كنت بحب أووي أروحها وأشوف الأفلام الجديدة وكده، لكن بعد النقاب مابقتش أدخلها، الأول ماكنتش بروحها عشان باتكسف، بحس شكلي بالنقاب مش لايق إني أدخل سينيما، وبعد مرور الوقت بقيت مقتنعة أصلاً من عدم فايدتها وإنها معصية لربنا وتضييع وقت وكلام فارغ.

قاطعتها سلمى قائلة:

- لا يا خوخة! السينما مش حرام؛ يعني على حسب الفيلم اللي هتتدخليه؛ لو فيلم محترم ومفهوش حاجة خارجة فليه حرام؟ دى وسيلة ترفيه وأي حاجه احنا بإيدينا تكون حرام أو لا، فلو داخلة فيلم محترم وممكن تستفيدي منه حتى لو استفادة نفسية بس فطبعًا مش حرام.

فقالت خديجة:

- لا يا سلمى حرام و٦٠ حرام! لما ربنا يسألني ضيَّعت وقتي وفلوسي على إيه؟ هرد أقول إيه، ضيَّعتهم على فيلم سينما، حاجات كتير الناس فكراها عادي وهي أكبر حرام زي السينما وزي الأغاني والموسيقى اللي أصلا هي سماع أهل النار.

سكتت سلمى ولم ترد، فالصمت في بعض الأوقات هو الأسلم، خصوصًا إذا كان أحد الطرفين متمسكًا برأيه، و ليس لديه أي استعداد لتقبل الرأي الآخر.. سكتت فأكملت خديجة قائلة:

- يمكن انتي مش حاسة بقيمة النقاب ومش حاسة كلامي، لكن أنا يا سلمى مقتنعة بكل كلمة قولتها، مقتنعة وسعيدة جدًّا إن ربنا اختارني أنا بالذات عشان أرضيه، إن ربنا أراد ليا إني أتقرب منه وأنفذ شرعه، ربنا أراد ليا الستر، العفة، الطهارة.. إني أقفل أي باب للشيطان ممكن يدخلي منه.. إنى أطبق شرع ربنا حبيبي، وأمر رسولي، لبس أمهات المؤمنين، لبس أهل الجنة،

أحاسيس كتير جوايا مش عارفة أوصفهالك؛ كفاية إني أقولك إني حاسة إني ملكة فعلاً، إني جوهرة غالية محدش من حقه يشوفني، أنا سعيدة إن ربنا مَنّ عليَّا وتفضَّل عليَّا بإنى أنول الطاعة دي.

ابتسمت سلمى بحب لصديقتها، فجميل أن تفعل الشيء الذي يرضيك، والشيء الذي تقتنع به مهما كان رأي من حولك، جميلٌ أن تتمسّك بما تتمنّاه وبما تريد أن تكون عليه دون التأثر بأية مؤثرات خارجية، احتضنت سلمى صديقتها التي ملأت الدموع عينيها قائلة:

– ربنا يثبِّتك يا خوخة يا حبيبتي! وانتي فعلا ملكة سواء بالنقاب أو من غيره، بس برضه رغم فرحتي بيكي وبإحساسك بس لازم تعرفي إن النقاب مش فرض.

ضحكا ونظرا إلى بعضهما بحب شديد، ثم قالت خديجة وهي تمسك بيد سلمى:

– عارفة يا سلمى! أنا علاقتي بالنقاب عامله زيّ إيه، زي علاقتي ببابا وماما، أنا باعشقه وبحبه، بحسه جزء مني، بحسه ابني وبنتي، ساعات باقول لنفسي هو أنا كنت عايشة قبل النقاب ازاي وكنت بمشي كدة عادي في الشارع قدَّام الناس من غيره ازاي، أنا نسيت قبل النقاب أنا كنت إيه .. غيَّرني وغيَّر أخلاقي وحاجات تانية كانت غلط فيَّا اتصححت؛ بيمنعني من حاجات كتير ممكن أعملها غلط، أو أي معصية كنت كل ما أعملها أرجع بسبب النقاب، بحبه يا سلمى أووي، بسببه اتعرفت على أغلى ناس

في حياتي، وبسببه أنا دلوقتي في صحبة صالحة من غيرهم ومن غير إعانتهم ليا في البداية أنا كان ممكن ما اكملش مع النقاب، لأني أكيد وقعت في مشاكل بسببه أو بسبب جهل الناس بيه، بس ده كله كان ابتلاء عشان ربنا يشوفني هاثبت ولا أقع في الطريق، والحمد لله إلى الآن ثابتة وأسأل الله الثبات حتى ألقاه، وأتمنى من ربنا إنه يسترني من النار يوم القيامة زي ما سترني في الدنيا بالنقاب.

أنهت الصديقتان نقاشهما، وظلت سلمى سعيدة بإحساس خديجة الصادق وفعلها ما تقتنع به دون الاهتمام بأي شخص، حاولت سلمى التأكد من معلوماتها وأن النقاب فضل وليس فرضًا على عكس ما تقوله خديجة، وبالفعل اتصلت بدار الإفتاء لتعرف الحقيقة واضحة، وكانت إجابتهم أن النقاب من الأمور التي اختلف فيها أهل العلم، وأن الأمام أحمد ومذهب الشافعي يقولون إن تغطية الوجه واجبة، أما مذهب أبي حنيفة ومالك قالا إن تغطيته غير واجبة بل مستحبة...

***

نفذ الدكتور أحمد الليثي تهديده بخصوص سيف، فلم يسمح بأن يعيد سيف امتحان ال Mid Term، وفي امتحان المادة الشفوي كتبه راسبًا، رغم أن سيف أجاب على كل الأسئلة، كما لم يضع له درجات الحضور وأعمال السنة. وأصبح سيف مجبرًا على أن يجتاز الامتحان التحريري دون أن ينقص ولو درجة واحدة؛ لكن للأسف لم يجتز سيف الإمتحان فرسب في المادة..

وأعاد الامتحان مرة أخرى في شهر نوفمبر، وأجاب جميع الأسئلة ولكن أيضًا ظهرت النتيجة بأنه راسب، وبالتالي اضطر سيف لإعادة السنة بسبب تلك المادة..

***

مرت ستة أشهر على نفس الحال، سلمى مُنقطعة عن عملها أو أي عمل و مُتفرغة فقط لدروس القرآن والتقرب إلى الله .. وسيف مُكتئب لما يتعرض له من ظلم بسبب أمر لا دخل له فيه، أما ديما فقد أنجبت طفلتها، التي أسمتها أماني على اسم أختها التي فقدتها.. وظلت حياتها مع عمرو يملؤها الحب والحنان والاحترام، فقد تحديا معًا كلَّ من حاول التفرقة بينهما حتى يعيشا معًا وكافأهما الله بابنتهما الجميلة التي أضاءت حياتهما وزادت من سعادتهما..

***

حاول سيف البحث عن عمل أكثر من مرة ولكن دون جدوى، جميع الوظائف تشترط الخبرة، فكيف لشباب حديثي التخرج أن يكون لديهم خبرة، وكيف سيكون لديهم خبرة وليس هناك من يعطيهم الفرصة؟!!، حتى إن وُجدت الفرصة يبدأ البحث عمَّن لديه واسطة من مسؤول ما، وسيف لا يوجد لديه خبرة و لا واسطة و لا شهادة تخرج.. ظل شهورًا يبحث عن عمل دون أي فائدة، وبعد تفوق سيف خمس سنين في كلية الهندسة، كان مصيره المقهى مع الجميع، وكل ذلك بسبب شخص معدوم الضمير والأخلاق.

حاول سيف ألا يستسلم ومضى في رحلة البحث عن أي عمل حتى إن كان في مجال آخر، وفي النهاية عمِل في شركة من شركات الاتصالات call center بمرتب ضعيف، كاد يصرفه بنزينًا لسيارته، حتى إنه في بعض الأحيان يأخذ من والدته مصروفًا ليلبي احتياجاته الخاصة التي لا يسدّها مرتبه الشهري..

دائمًا سيف يُطمئن نفسه بأن ما يحدث ما هو الا فترة مؤقتة، وسوف يعمل في مجاله بمرتب كبير قريبًا عندما ينجح في تلك المادة ويتخرج. ولكن لم يحدث أي شيء سوى أن سيف أصيب بالإحباط أكثر وأكثر عندما كان يرى معاملة الليثي له في أي يوم يذهب فيه إلى الجامعة، وأثناء جلوسه بالمقهى كالعادة مكتئبًا قال له أحمد صديقه:

- روق بقي يا سيف، والله بكره تروق وتحلا.

قال سيف متألمًا:

- تروق وتحلي ازاى بس، وأنا شحط كده ولسه بأخد فلوس من أمي، المرتب يا دوبك بيكفي البنزين والسجاير.

قاطعه أحد الأصدقاء قائلا:

- ما تفكها بقي يا عم، ما كلنا كده، هو حل من الاتنين يا نسيب البلد ونطفش يا نسرق بقي ونشتغل حراميه، إمسك يا عم امسك بلا وجع دماغ.

أعطاه صديقه سيجارة محشوة بالحشيش، ومن شدة ضيق سيف أخذها منه وأشعلها، وأصبح ذلك حال سيف العمل صباحًا، و المقهى و السجائر و الحشيش ليلاً. أصبحت عائلة سلمى مفككة، فالأم مشغولة في عملها، وسلمى مشغولة بالمساجد والأعمال الخيرية، وسيف مشغولٌ بما هو فيه.. أصبحت الأسرة المترابطة شديدة البُعد عن بعضهم البعض حتى كاد كل منهم أن يضيع في طريقه، وفي يوم دخلت سلمى على أخيها لتسأله عن كتاب تبحث عنه فرأته يشرب تلك السيجارة الغريبة..

سلمى:

- إيه ده يا سيف! إنت بتشرب إيه؟!

- هاشرب إيه يعني! سيجارة، بس خلصت أهي "

قالت سلمى بصوت عالٍ: " دى مش ريحة سجاير عادية، إيه ده انت ازاي وصلت لكده يا سيف.. إزاي!!!

صاح سيف قائلا:

- أولاً متزعقليش! ومالكيش دعوة بيا، محدش خالص يتدخل في حياتي.

استغربت سلمى طريقة أخيها المليئة بالعصبية وقالت:

- لا أتدخل ونص! أنا أختك ومن حقي إني أتدخل وأخاف عليك.

فصاح بها:

- لا مش من حقك، إطلعي برَّة.

سحب سيف أخته من ذراعها ناحية الباب بعنف وقوة حتى أخرجها وأغلق الباب بالمفتاح حتى لا تستطيع الدخول. انهارت سلمى من البكاء، اندهشت لما وصل أخوها إليه، لا تدري كيف لها أن تتصرف؟ أخذت الكتاب الذي كانت تبحث عنه عندما رأته على المنضدة ومسحت دموعها وانصرفت إلى المسجد..

قابلتها خديجة التي لاحظت أن هناك خطبًا ما فسألتها:

- فيه إيه يا سلمى مالك، وليه اتأخرتي؟

أجابتها سلمى:

- ممكن مانحضرش الدرس ونتكلم؟

أجابتها خديجة:

- حاضر رغم إنه درس مهم جدًّا بس حاضر يا ستي.

خرجا من المسجد معًا وجلستا تتحدثان في سيارة سلمى، انهارت سلمى في البكاء وحكت لخديجة عما وصل إليه سيف، حاولت خديجة تهدئتها قائلة:

- اهدي يا سلمى مش كدة، كل الشباب بييجي عليهم فترة يضعفوا وده بسبب البعد عن ربنا، الموضوع مش سهل، وفعلاً ليكى حق تقلقي، بس لازم تهْدي عشان كمان نقدر نفكر.

وبعد تفكير منهما، أقنعتها خديجة بمحاولة التقرب منه ومحاولة الأخذ بيده إلى الطريق الصحيحة وأن عليها أن ترشده إلى طريق الدروس والمساجد. كانت لازالت مع خديجة حين اتصل بها سيف:

- ايوه يا سلمى! بصي ماتتعشِّيش برَّه علشان أنا مستنيكي نتعشى مع بعض في البيت.

فرحت سلمى جدًّا بمكالمة سيف، لأنها شعرت أنه يريد مصالحتها عما بَدَرَ منه، أوصلت خديجة لبيتها وذهبت لسيف، وأول ما دخلت باب المنزل نظرت له وابتسمت وإذا به يأتي بجانبها ويحتضنها، احتضنت أخاها جدًّا وبكيا معا..

- اعذريني يا سلمى، أنا والله مضغوط وأعصابى تعبانة، فغصب عني اتعصبت عليكي، كمان متقلقيش دي تالت مرة أشرب فيها حشيش؛ يعني ماتعودش عليه ولا حاجة، ووالله ما هاشربوا تاني.

نظرت له سلمى بعطف قائلة:

- مالك بس يا حبيبي، احكيلي، هو احنا لينا غير بعض!

- طبعا لا! إنتي أختي وصاحبتي حتى لو كنا مقصرين في حق بعض، بس أنا تعبان يا سلمى جدًّا، تعبان أووي من ساعة ما سقطت السنة اللي فاتت، أنا اتظلمت جدًّا، اجتهدت ٥ سنين كلية وفي الآخر ييجي كلب معندوش ضمير يسقطني وياريت عملتله حاجة، حاطني في دماغه عشان

حوار مليش أي ذنب فيه، ولما قولت ده نصيبي وأشوف شغل لقتني كمان مش عارف أشتغل، ولما اشتغلت اشتغلت شغلانه أي كلام ومش تخصصي، وفلوسها قليلة وانتى عارفه بابا الله يرحمه ماسبلناش حاجة هي عربية كل واحد فينا والبيت ده وبس، بقيت حاسس إني عالة في البيت، كنت مستني أتخرج عشان أنا اللى أصرف، لقتني لسه باخد مصروف من ماما، بعد تعب ٥ سنين بشتغل إنى أرد على العملاء في التليفونات، المرتب مش بيكفي البنزين.. كمان أنا نفسيتى تعبانه بقالي سنة ونص من يوم ما سبت شهد ـ حاسس إنى إتبعْت بالرخيص رغم إني إديتها كل حاجة، واستأمنتها على مشاعرى، حاسس إن حياتي بقيت مفهاش أي حاجة مفيدة وحتى لما بحاول أعمل حاجه وأنجح، الدنيا واقفة قصادي ومش مدياني أي فرصة.

أمسكت سلمى بيد أخيها قائلة:

– متقولش كده يا سيف! ربنا كريم! بكره الدنيا تتحسِّن وتتخرَّج وتلاقي شغل أحسن في تخصصك، وتقابل الإنسانة اللي تستاهلك اللي تنسِّيك أيّ وجع وتعب، إنت بس قول يارب.

تنهَّد سيف قائلاً:

– ياارب!

قالت سلمى:

– سيف! أنا مش عايزاك تقع في الغلط اللي أنا وقعت فيه، الواحد لما الشيطان بيقرب منه في غلطة واحدة بتجر وراها ١٠، أنا قلعت الحجاب

وشوية شوية بقيت أشرب سجاير، شوية شوية مش بواظب في الصلاة وكانت أسوأ فترة في حياتي، اوعى تخلي مشاكلك تنَسِّيك ربنا، بالعكس دي المفروض تقربك أكتر، اطلب منه إنه يريَّح قلبك، إحكيله كل اللي في قلبك عشان ترتاح، ولو على الشغل يا سيدى ممكن نفكر فيها مع بعض، نشوف بديل للشغلانة بتاعتك مادام مش مرتاح، حتى لو حاجه مش في الهندسة بس ترتاح فيها مؤقتًا، أنا مش عارفة ولا في دماغي حاجة، بس لو فكَّرنا أكيد هنلاقي حل.

ابتسم سيف قائلاً:

– عندك حق! إن شاء الله ربنا يعمل الخير وأرجوكي متزعليش مني أبدًا، حقك عليَّا.

ابتسمت سلمى:

– مقدرش أزعل منك يا حبيبي.

تحسَّنت علاقة سيف بأخته عن ذي قبل، كانت تشجعه للمواظبة على الصلاة في أوقاتها وأصبح يحضر معها بعض الدروس الدينية، وأصبحت سلمى دائمة التفكير في كيفية مساعدة أخيها حتى يبقى مرتاح البال..

خطرت ببالها فكرة، وقررت أن تتناقش معه فيها، فذهبت إليه وهو يشاهد التلفاز قائلة:

– بقولك إيه يا سيف! اقفل التليفزيون ده عايزاك في حاجة مهمة جدًّا.

أغلق سيف التلفاز ونظر إليها قائلاً:

- إيه فيه إيه، خير.

- هو انت تقدر تستغنى عن عربيتك؟

- ليه؟! هي عربيتِك بايظة ولا إيه؟

- لا يا ابني، ممكن تبيعها يعني؟؟

- مش فاهم حاجة! انتي دماغِك فيها إيه؟

- من الآخر أنا بفكر نبيع عربيتنا أنا وانت ونبدأ في مشروع صغير، يكون جنب شغلك، فهيكون كده معاك فلوس أكتر ونفسيتك تكون أحسن، إيه رأيك؟

- والله يا لومة فكرة حلوة، بس مشروع إيه ممكن نعمله؟

- مش عارفة لسة، بس ما دام موافق على المبدأ يبقى نفكر وأكيد ربنا هيكرمنا.

- تمام إن شاء الله، نشوف العربيات تجيب فلوس كام وعلى أساسها نحدد المشروع.

وبدأ سيف وسلمى يفكران في المشروع المناسب، سيف مهندس مدني لوكان يمتلك من المال كان سيشتري أرضًا ويبني عليها عمارة، ولكن للأسف المبلغ المتاح لهم ١٥٠ ألف جنيه وهذا لا يكفي، كانت من أحلام

سلمى أن تكون صاحبة أكبر سلسلة لمحلات الورد، وحاولت مناقشته في فكرة محل للورد، ولكنه لم يتحمس لها، وظلا يبحثان عن مشروع آخر، إلى أن توصلا أن يقوما بفتح محل للملابس المستوردة، وبالفعل قررا أن يؤجرا محلاً في منطقة مناسبة، وسافر سيف تركيا وأحضر الكثير من الملابس، وأوصى أصدقاء له بأن يأتوا ببعض الملابس من بلاد مختلفة. وبعد أربعة أشهر من دراستهما للمشروع، تم تأجير المحل ووصلت بالفعل البضاعة، وبدءَا إعلاناتهما عن طريق الأصدقاء ومواقع التواصل الاجتماعي، وبدأ المحل بالعمل.. ويوم الافتتاح حضر الكثير من الأصدقاء والزبائن..

سلمى:

– يااه يا سيف! أنا مش مصدقة، أخيرا بدأْنا!

أجاب سيف:

– الحمد لله يا سلمى! أنا بجد سعيد جدًّا بالخطوة دي ويارب تكون بداية خير...

تم تعيين فتاة للبيع في المحل، وكانت تباشرها سلمى فترة الصباح عندما يكون سيف في عمله، وفي الليل يباشر سيف العمل..

أصبح للحياة طعمٌ جديدٌ لكلٍّ منهما، جميل أن تبدأ عملاً صغيرًا بنفسك، وبمجهودك وتعبك، و يكبر ذلك العمل ويزدهر.. كأنه بذرة صغيرة نسقيها، فتكبر وتكبر، إلى أن تصبح ورودًا كثيرة ذات ألوان مبهجة. كان

إيراد المحل كبيرًا ويكفيهم لشراء بضاعة جديدة و ادخار جزء، ومساعدة الأم في مصروفات البيت. وبعد ستة أشهر لم يصبح سيف بحاجة إلى عمله الصباحي.. وأعطى كل وقته ومجهوده للمحل..

أثناء تلك الفترة كانت هناك فتاة تتردد على المحل بصفة دائمة، وتشتري الكثير من الملابس منه، تعرَّف عليها سيف بحكم وجوده الدائم في المحل.. يتبادلان دائمًا أطراف الحديث فعرف أنها تسمى "حنين"، وتدرس بآخر سنة في كلية الهندسة جامعة القاهرة وتعمل مع والدها في شركة مقاولات كبيرة ومعروفة..

ومرت الأيام وأصبح سيف ينتظرها تأتي للمحل حتى يراها، يُفكر فيها دائما ويتذكر حديثهما القليل دائمًا، وكأنها أصبحت جزءًا من حياته، وعندما غابت أكثر من شهر، على غير عادتها؛ عرف سيف كم يفتقدها ويفتقد رؤيتها، وأصبح يبحث عنها بعينيه فى وجوه من حوله...

حتى جاء اليوم و أتت حنين إلى المحل، دخلت المحل بابتسامتها المشرقة، فأشرق وجه سيف من شدة الفرحة قائلاً:

" أهلاً يا آنسة حنين! بقالك مده مش بتيجي؟!

فأجابت حنين بحياء:

– كنت مسافرة مع بابا بقالي شهر ولسة راجعة النهارده من ٣ ساعات.

فابتسم سيف:

- ياه لسة النهاردة، ده أكيد حضرتك عندك مناسبة مهمة جدًّا اللي خليتك تيجي في نفس يوم سفرك من غير ما ترتاحي!

ظهرت على وجهها أمارات الارتباك الشديد، رغم أن سيف لم يقصد أي شيء بكلامه، فقالت في خجل:

- أيوة عيد ميلاد صاحبتي النهاردة وعايزة ألبس حاجة جديدة.

- أنا جالي امبارح تشكيلة جديدة شيك جدًّا؛ أعتقد هتعجبك، وهتكون جميلة أوي عليكي زي كل لبسك!

ارتبكت حنين جدًّا وشكرته على مجاملته اللطيفة، وأخذت ما يناسبها وسألته عن السعر، ولكنه أجاب قائلاً:

- ده هدية ليكي من المحل!

استغربت حنين وقالت:

- هدية! إزاي!! بمناسبة إيه يعني!!

- من غير مناسبة، ممكن تعتبريه هدية بمناسبة عيد ميلاد صاحبتك!!

رفضت حنين وشكرته وأصرت أن تدفع الثمن المكتوب على الملابس، وهمَّت بالرحيل فناداها سيف:

- آنسة حنين! هتيجي تاني قريب ولا هتتأخري زي المرة اللى فاتت.

ابتسمت حنين قائلة:

- ربنا يسهل!

خاف سيف أن تضيع تلك الفرصة من دون أن يعرف عنها أكثر فقال لها:

- طيب هو ممكن نمرتك؟! أنا مش قصدى حاجة، بس أختي نفسها تتعرف عليكي أووى ـ لكن دايماً لما انتي بتيجي هي مش بتكون موجودة.

فابتسمت حنين قائلة:

- طبعًا ممكن! أنا يشرفني إني أتعرَّف عليها.

وأخرجت كارتها الشخصي من الحقيبة وأعطته لسيف واستأذنت في الانصراف، ورحلت في سعادة نجحت في اخفائها عليه حتى وصلت إلى منزلها. كان يراودها القلق قبل ذهابها للمحل خوفًا من أن يكون سيف غير موجود، فقد ذهبت خصيصًا لتراه، لا لتشتري فستانًا جديدًا كما ادّعت. لا تعرف لماذا تنجذب إليه إلى ذلك الحد وهي لا تعلم عنه سوى اسمه ومهنته؟

كذلك فرح سيف بأنه أخذ أول خطوة للتعرف عليها أكثر، لكنه لا يعلم ماذا سيفعل برقم هاتفها، هل يتصل بها؟ لكنه لا يستطيع فعل ذلك لأنه أبلغها أن الرقم لأخته، أخته التي لا تعلم أي شيء عن حنين ولم يحدثها سيف أبدًا عنها..

***

مر أسبوع و آخر بدون أي أخبار عن حنين. أمسك سيف بالهاتف أكثر من مرة ليتصل بها و يطمئن عليها ولكنه تردَّد، ماذا سيقول لها؟ وبماذا سيبرر سبب اتصاله؟ فأمسك بهاتفه واتصل بسلمى قائلاً:

- أيوه يا سلمى! إنتي فين يا حبيبتي؟!

قالت سلمى:

- أنا في الطريق راجعة البيت دلوقتي، كنت في درس ولسه مخلَّصاه.

- طيب ما لو فاضيه تعالي عدي عليَّا في المحل شوية.

- إنت عندك مشوار يعني، وعايزني أكون مكانك؟!

- لا يا حبيبتي! انا عايزك تيجى نقعد شوية مع بعض.

- حاضر! ساعة إن شاء الله وأكون عندك.

ظل سيف ينتظر أخته وهو يشعر بأن الوقت لا يمر، مرت الساعة كأنها أيام طوال.

- إيه يا سلمى ده! كل ده تأخير!

" تأخير إيه، ده أنا حتى ماعديتش على البيت؟؟

جلسا معًا وهي تنظر إليه بحيرةٍ، فعيناه تمتلئ بالكلام لكنه لا ينطق بأي كلمة.. فسألته سلمى بماذا يفكر؟ ولماذا أصرَّ أن تحضر إليه؟

– بصي أنا مش هافضل ألفّ وأدُور عليكي كتير، بس أنا والله مش عارف أقول إيه؟

– قول اللي انت حاسَّه وبس يا سيف، سيب قلبك يتكلِّم من غير ما يعدي الكلام على عقلك.

– فيه بنت اسمها حنين! عايزِك تتعرَّفي عليها.

ابتسمت سلمى قائلة:

– مممممم، حنين!

فقال سيف بارتباك:

– هو إيه ال ممم، انتي عبيطة، مالِك فيه إيه؟؟

– لا لا ماليش ولا حاجة، مالها بقي حنين دي؟ وليه عايزني اتعرَّف عليها؟

– عادي يعني! شكلها بنت كويسة، وحاسس إنكم ممكن تبقوا اصحاب فقولت أقولِّك.

حكى سيف لأخته كل شيء وما يشعر به، وأكد لها أنه ليس حبّا؛ بل مجرد انجذاب لتلك الفتاة التي لا يعلم عنها سوى اسمها ودراستها وعملها مع والدها فقط. شعرت سلمى بفرحة من كلام أخيها؛ لأنه منذ أكثر من ثلاثة أعوام ليس بالطبيعي فتجربته مع شهد كسرت داخله الكثير، وكُسر أكثر بسبب ما فعله به أستاذ الجامعة وعدم تخرُّجه إلى الآن، وعدم عمله بالهندسة

رغم تقدمه لوظائف كثيرة، لكن دائما ما تُصيبه خيبة الأمل. وَعَدَته سلمى أنها ستحادثها وتُحدد معها موعدًا لتتعرف عليها وبالتالي تكون بداية لعلاقة ومعرفة بينهم..

انصرفت سلمى لأن لديها سورة من القرآن يجب أن تحفظها خلال يوم واحد، فسلمى مستمرة فى نفس طريقها؛ طريق حفظ القرآن الكريم، والدروس الدينية، والدراسة في معهد للشريعة، وأصبحت أقرب صديقة لها خديجة، إلا أنها كثيرًا ما تشعر بتقصيرها ناحية ديما التي لم ترها منذ أكثر من عام ونصف منذ ولادتها لابنتها أماني ..

***

قررت سلمى أن تتصل بديما لتطمئن عليها ومحاولة مقابلتها بعد فترة طويلة من الغياب، فالحياة وضغوطها تأخذنا من أقرب الناس إلينا، ويمر الوقت سريعًا ونكتشف أن ما فات منه أعوام، ونحن في تلك الدوامة بعيدًا عمَّن نحب. وبالفعل ذهبت سلمى لزيارة ديما في بيتها.. وبعد السلامات والتحيات ولعب سلمى مع أماني الصغيرة قالت ديما لسلمى:

- سلمى! إنتي مش بتقدمي في قنوات؟

فقامت سلمى من الأرض التي كانت تجلس عليها تداعب الصغيرة قائلة:

- قنوات إيه بس يا بنتي ما خلاص.

– هو إيه اللي خلاص؟ وليه أصلاً خلاص؟

– عشان مبقاش ينفع؛ أنا بقيت ملتزمة جدًّا ومتمسكة بديني جدًّا، وأنا عشت في الوسط ده وشوفت وعرفت إني مش هاقدر أشتغل فيه من غير تنازُلات وخلاص أنا استحالة أتنازل عن أي حاجة.

قالت ديما:

– أنا مش مصدقة! هي دي سلمى اللي كانت ديما تتكلم عن التفاؤل والنجاح في الحياة وتحقيق الأحلام، هي دي سلمى اللي عمرها ما استسلمت لأي حاجة وشايفة إنها تقدر تغير الدنيا والعالم وتفصَّله على المقاس اللي يناسبها، أنا بجد مصدومة من كلامك!

قالت سلمى:

– لا ماتتصدميش، للأسف المجتمع اللي بقينا عايشين فيه بيكسَّر كل أحلامنا وطموحاتنا؛ كان حلمى أكون مذيعة كبيرة وأقدم برنامج هادف عن الأخلاق، ووصل بيَّا الحال من كتر الضغوط اللى قابلتها إنى أقدم برنامج تافه؛ سيف عاش حياته يحلم يدرس الهندسة، وآخرتها فِضِل يردّ على تليفونات، ودلوقتي واقف في المحل زيّه زيّ أي بيَّاع حتى لو ملكه بس مش ده اللي كان بيحلم بيه، إحنا مبقاش قدامنا غير إننا نتنازل عن أحلامنا عشان نقدر نساير الواقع وعشان نقدر نكمِّل حياتنا.... وأهي عيشه بقى والسلام.

– كل شيء بأوان يا سلمى؛ مش معنى أن سيف مش لاقي شغل في مجاله إنه ييْأس، ولا معنى إنك ماعرفتيش تحققي حلمك في فترة ما إن الحلم ضاع، أومال هي اسمها أحلام ليه، عشان جميلة، وأي شيء جميل محتاج مننا نتعب ونتعب أووووي كمان عشان نوصله، كمان انتوا أحلامكم تحقيقها اتأخر بس ما شاء الله عليكم دلوقتي مشروعكم ناجح، وربنا بيكرمكم فيه.

ابتسمت سلمى ابتسامة سخرية قائلة:

– الحمد لله! بس بالنسبه للأحلام فربنا يسهل ومتفضلش أحلام!

أصبحت سلمى ترى أن الكلام عن التفاؤل والأحلام ما هو إلا بعض الكلمات التي تُقال لنعيش في عالم آخر نهرب فيه من واقعنا المرير.. انتهى الكلام في هذا الموضوع، لكنه لم ينتهِ أبدًا من تفكير سلمي، فهي لا تعلم هل نست حلم عمرها أم تناسته؟ هل بالفعل تنازلت عنه بتلك السهولة؟ أم أن الظروف هي التي أجبرتها على التنازل؟ وهل فعلاً الظروف يمكن أن تجبر الإنسان على التنازل؟ أم أنها تجبر فقط الإنسان الضعيف الذي لا يمتلك الإرادة؟ إنها الأيام التي يمتزج فيها الجمال بالقبح واللذة بالألم واليأس بالأمل، فلا غرو أن تجتمع الأضداد في وقت واحد، المهم أن يستفيد الإنسان من أي درس يتعلمه في هذه الدنيا، ولا يستسْلم لليأس والإحباط، وليكُن دائمًا على خُطى المتأهبين الناشطين غير المتثاقلين، وأن يفكر كلٌّ منَّا في مستقبله بأناةٍ وحِلمٍ شديدَيْن وأن يأخذ الأمور بجِدٍّ وقصد..

وبعد تفكير عميق قررت أن تتقدم مرة أخرى للعمل في إحدى القنوات الفضائية ولكنها تلك المرة ستختار القنوات الدينية التي لا تقبل أن يعمل

بها غير المتدينين والمحجبات؛ لعل وعسى أن تجد الفرصة المناسبة، وبالفعل بحثت عنها وأرسلت لها جميعًا طلب تحديد ميعاد لها، ولكن لم يجبْها أحدٌ من هذه القنوات.. أما بالنسبة لموضوع أخيها فبالفعل اتصلت بحنين قائلة:

- ألو! حنين معايا!

- أيوه يا فندم! مين حضرتك؟

- أنا سلمى أخت سيف! أنا آسفة للإزعاج، وآسفة لو الوقت مش مناسب.

- لا أبدًا، أنا كنت مستنيَّة مكالمتك أصلاً عشان أتعرَّف عليكي.

- ده أنا والله اللي أتمنى إني أتعرَّف عليكي.

- إن شاء الله قريب جدًّا.

وحددا موعدًا في كافيه قريب من المحل وتقابلا؛ استغربت سلمى مما يحدث؛ فهي لم تقابل أبدًا أحدًا لا تعرفه، واستغربت الطريقة التي تتعرف بها على حنين، رغم أنها غير متأكدة أن يكون بينها وبين سيف شيء ما في يوم من الأيام. شعرت سلمى خلال مقابلتها أن حنين إنسانة رقيقة ومحترمة جدًّا، وعرفت عنها الكثير من التفاصيل والمعلومات الشخصية، وأنهتا جلستهما على وعدٍ من كل منهما بمحادثة الأخرى والمقابلة في أيام قادمة..

وكانت تلك أول خطوة في معرفه سيف بحنين ـ الذي أصبح دائم الخروج معهما هما الاثنتين وأصبحوا أصدقاء..

***

اتصلت قناة فضائيَّة دينية معروفة بسلمى لتحديد موعد للمقابلة، ترددت سلمى كثيرًا لأنها أصبحت شديدة الخوف من ذلك المجال، وذهبت إلى الميعاد مرتدية عباءة واسعة بنية اللون و (إيشارب) طويلاً أيضًا يحتوي على أكثر من درجة من نفس اللون، ولم تضع أيًّا من مساحيق التجميل، وبعد عدة مقابلات تم قبولها مؤقتًا على أن تقوم بتيست للكاميرا لمعرفة هل إذا كان هناك قبول لوجهها على الشاشة أم لا؟ فهناك وجوهٌ جميلةٌ لكنها تظهر سيئة على الشاشة والعكس، وأتى الموعد المحدد، فطلب المخرج أن تضع بعض مساحيق التجميل قائلاً:

"يا أستاذه سلمى، الكاميرا غير الحقيقة، لازم تحطي مكياج عشان وشك يبان في الكاميرا، ومتفتكريش إنه هيظهر على الشاشه أوفر، لا ده هيظهر وشك إنه طبيعي.

وبعد مناقشات بينها وبين المخرج وضعت بعض مساحيق التجميل، وجاء وقت الوقوف أمام الكاميرا وتركيب المايك والسماعة، فمن السهل أن تضع هي السماعة تحت طرحتها ولكنها لا تعرف بالتأكيد كيف تضع المايك، فحضر مسئول الصوت وعندما اقترب منها ليضع لها المايك في العباءة دفعته بقوة أوقعت الميكروفون من يده، حتى استغرب الجميع ما حدث فقالت مرتبكة:

– آسفة جدًّا، أنا بس اتفاجئت، اعذرني حضرتك اديهولي وأنا هاركبه.

عبَّر مدير الصوت عن استيائه بزفرة قويّة، وأعطاها المايك وانسحب ووضعته سلمى بنفسها، لكن لم يكن مضبوطًا والصوت مشوش مما اضطر

المخرج أن يقول لها إنه يجب أن يضعه مهندس الصوت حتى يحصل على أفضل نتيجة للصوت ولكن اعترضت سلمى قائلة:

- هو ممكن يقولي أعدله ازاي وأنا أعدله.

فخرج المخرج عن صمته قائلا:

- لا بقي دي مش طريقة، يا ستي ده مهندس صوت محترم، ومش هيقرب من جسم سعادتك في حاجه، ده هيحط المايك من بعيد من غير ما يلمسه، مش معقول كده بقالنا ساعة مش عارفين نتنيل نعمل تيست الكاميرا.

امتلأت عينا سلمى بالدموع وأخذت حقيبتها مستأذنة بالانصراف ولم يمنعها أحد، وأثناء طريقها ظلت تبكي مما حدث ومن الطريقة التي تحدث بها المخرج، لا تعرف هل هي من تكبر الموقف أم من حقها رفض ما حدث، أصبحت مشتتة التفكير لا تعلم الصحيح من الخطأ، وعند وصولها للمنزل لاحظت أمها وأخوها ما بها، وفور سؤالها عن نتيجة تيست الكاميرا انهارت أعصابها وأخذت في البكاء، وبعد أن هدأت بدأت تحكي لهم ما حدث بالتفصيل وكان رد الأم:

- يا سلمى! انتي إيه حصل لك يا بنتي، بقالك سنتين ولا ٣ محدش عارف يكلمك، انتي فيه إيه، الراجل مش هياكلك ومش هيعاكسك ده بيعمل شغله، ليه تعصَّبيهم كده وتحسِّسيهم انهم ناس مش محترمة، انتي بقيتي غريبة فعلاً!

وكان رد سيف:

– إنتي مش غلطانة ولا حاجة يا حبيبتي، انتي لو لقيتي حاجة غلط من حقك تعترضي، لكن الناس من اللي حكيتيه ماغلطوش، هو بيحط المايك بالمشبك من بعيد وهو فعلاً أدرى حد بشغله.

استمرَّت سلمى بالبكاء رافضة رأيها. كانت تشعر أن كليهما مستاء من التزامها، ولا تعرف لذلك سببًا، تظن أنهما يُحاربَانها لارتدائها العباءات التي طالما رفضتها والدتها ورفضت فكرة ارتداء سلمى لها..

***

أصبحت علاقة سيف بحنين قويّة إلى حد ما، يتبادلان الاتصالات للاطمئنان على بعضهما، حكى لها عن مشكلته في التخرج؛ وكيف استغل ذلك الدكتور الذي لا يحترم شرف مهنته معرفه سيف بدكتور فهمي حتى ينتقم منه فيه، وحكت له حنين عن حياتها ووالدها واقترحت عليه أن تكلم والدها ليلتحق سيف بالتدريب في المواقع الهندسية مع والدها ولكنه رفض نهائيًّا، وقال لها إنه لن يقوم بتلك الخطوة إلا بعد أن يتخرج نهائيًّا من الكلية..

***

بدأ اسم المحل يشتهر أكثر فأكثر، وفكَّر سيف وسلمى أن يفتتحا فرعًا جديدًا في مكان آخر، ولكن طموحات سيف كانت أكبر من فرع أو اثنين، فقرر أن يؤسس شركة كبيرة للتوزيع في كل أنحاء الجمهورية، وبالفعل

بدأ بدراسة الفكرة مع أخته سلمى، مع الاستعانة بخبير فى مجال التسويق، وتأجير مكتب بالقرب من الفرع الرئيس لمحل الملابس، وتعيين الخبير فيه كمدير للتسويق، وقام بعمل إعلان في جريدة ما يطلب للعمل شبابًا من الجنسين للعمل في التوزيع، وبالفعل تقدم الكثير للعمل، اختار سيف عشرين شابًّا وفتاة رأى فيهم النشاط والاجتهاد والمثابرة والإصرار على النجاح. وعرض عليهم فكرة التسويق الجديدة، وأثناء جمعه معلومات عن كل أصحاب المحلات الكبرى في أنحاء الجمهورية في محاولة منه لفتح مجال للتعامل معهم، كان الشباب والفتيات الذين تم اختيارهم يتلقون تدريبات لتنمية مهاراتهم البشرية والتسويقية، وحتى يزيد من حماسهم وضع ١٥ ٪ من ثمن البضاعة المباعة نسبة للمندوبين والموزعين وهي نسبه كبيرة جدًّا، وأصبح سيف وسلمى والموزعون يدًا واحدة وجمعتهم الصداقة، واشتركوا في نفس الهدف وهو النجاح..

كان الموزعون يتعاملون في عملهم كأنه مشروعهم الخاص، فما وجدوه من حب واحترام وتقدير من سيف زرع بداخلهم حبًّا له وللعمل، وأصبح هدفهم تكوين أكبر سلسلة محلات لبيع وتوزيع الملابس المستوردة. ومن أول مكسب لأكبر صفقة قاموا بها اشترى سيف سيارة لأخته تعويضًا لها عن سيارتها التي باعتها من أجله، فقالت سلمى عندما تفاجأت بالسيارة:

– يا حبيبى يا سيف! بتجيبلي أنا عربيَّة، وانت اللي أولى مني بيها، كمان دي غالية أووووي.

– مفيش حاجة تغلى عليكي يا حبيبتي! من غيرك ومن غير وقوفك جمبي مكنتش هاقدر أحقق أي حاجة، مانا أصلاً هبقى استلفها منك لحد ما ربنا يكرم واقدر أجيب لنفسي واحدة.

احتضنت سلمى أخاها، ذلك الحضن الدافئ الذي يشعر الإنسان به أنه ملك العالم بأسْره، فما أجمل حضن الأخ وصِدْقه.. فالأخ هو من يتمنى لإخوته الخير ويحبهم من كل قلبه دون أي هدف أو مصلحة.

الأخوة نعمة لا يضاهيها في الوجود مثيل.

***

للسنة الرابعة لم ينجح سيف في تلك المادة، قدَّم سيف شكاوى عدة لإدارة الكلية وقدم شكاوى ضد ذلك الأستاذ معدوم الضمير، ولكن للأسف من دون فائدة، كان رد إدارة الجامعة أنها لا تتدخل في تصحيح الأوراق، هي فقط من الممكن أن تُعيد تجميع الدرجات في الورقة بناءً على الشكاوى المقدمة، ولكن المسؤول الوحيد الذي من حقه تقويم الإجابات و اعطائها ما تستحق من درجة هو دكتور المادة..

أصبح سيف لا يُبالي بالتخرج، أو بمعنى أصح يحاول ألا يُبالي، فهو يعمل وينجح في تحقيق أهدافه، وأصبح أصغر صاحب محلات ملابس مستوردة وصاحب شركة للتوزيع. حنين تسانده في خطوات نجاحه، ودائما ما تشجِّعه وتحفِّزه للنجاح أكثر وأكثر، تخرجت حنين وبدأت العمل مع والدها وأصبحت ترتبط بسيف جدًّا وتنتظر الوقت الذي يعترف فيه بحبه لها..

سيف يعرف بالفعل أن عليه الاعتراف بما داخله من مشاعر تجاهها، ولكن عدم تخرجه هو ما يمنعه، يتمنى أن يتقدم لها رسميًّا ولكنه ينتظر على أمل أن تُحل مشكلته ويتخرج من تلك الكلية. فقد قدم بلاغًا وشكوى لرئيس الجامعة وسانده فيها دكتور فهمي وبعض الأساتذة الذين يعلمون جيدًا تفوق سيف، لكن أصبح سيف غير قادر على الانتظار للإفصاح عما بداخله، ففي أول مقابلة له بحنين بعد تفكير عميق قال:

- وحشتينى يا حنين، بقالي أكتر من أسبوعين مشوفتكيش.

قالت حنين مبتسمة:

- معلش، المهم إنك خلصت الشغل اللى وراك والطلبية اللى كانت عندك.

- طيب بالنسبة لانى قولتيلك وحشتيني!

ضحكت حنين وهي في شدة الخجل ولم تتفوَّه بأي كلمة.

نظر سيف في عينيها الجميلتين قائلاً:

- أنا بحبك!

لم تستوعب حنين ما قاله سيف، لا تعرف بماذا تجيب، فاكتفت بالابتسامات التي لم تستطع أن اخفاءها..

وبدأت حكاية سيف وحنين، سيف ينجح في عمله ومشروعه وحنين تشاركه كل خطوات حياته، حاولت حنين أن تفاتحه في موضوع الخطبة،

لكن دائمًا ما يمنعها كبرياؤها، فذلك الطلب لا بد أن يكون منه هو، رغم أنها تشعر دائمًا باستياء والدتها من مقابلتها لسيف دون أي ارتباط رسميّ..

وفي يوم دون أن تشعر حنين، أخذت أمها رقم هاتف سيف من هاتفها، فأمها تعلم جيدًا أنها إذا طلبت الرقم من حنين سترفض، واتصلت والدة حنين بسيف وطلبت منه المقابلة راجية منه ألا يُبلغ حنين، وبالطبع وافق سيف وذهب إلى المكان المحدد في الميعاد، عرفته والدة حنين من وصف حنين له وتقدمت إلى الطاولة التي يجلس عليها قائلة:

- ازيك يا سيف!

فقال سيف:

- أهلاً يا طنط! ازي حضرتك، اتفضلي.

ثم طلبا كوبين من الشاي وقالت والدة حنين:

- طبعًا إنت مستغرب إني كلمتك وإننا قاعدين مع بعض دلوقتي!

قال سيف وكله ثقة بنفسه:

- لا عادي! ده شرف ليَّا إني أقابل حضرتك.

أجابته والدة حنين:

- شكرًا يا سيف! أنا هدخل في الموضوع على طول، أنا جاية النهاردة عشان أعرف حنين بالنسبة ليك إيه؟

قال سيف:

– أنا مش هاتكسف من حضرتك وهجاوبك، أنا بحبَّها، حنين بالنسبة ليَّا هي كل حاجة.

– طيب إيه آخرة خروجاتكم كل يوم والتليفونات والحب ده؟!

– طبعًا يا طنط آخرته الجواز، أنا والله مش بتاع تسليه وباحترم حنين جدًّا ونيِّتي خير.

– وامتى بقي الجواز ده؟ أو حتى الخطوبة؟

– لسة يا طنط شوية، أنا عندي مشاكل في تخرُّجي، أول ما تتحل أول حاجة هاعملها إني أتقدم لحنين.

– حنين حكت لي على موضوعك مع الدكتور، بس أنا ووالدها مش هانمانع إن يكون فيه خطوبة حاليًا والشهادة كدة كدة هتاخدها.

قال سيف:

– أنا اللي عندي مانع يا طنط، انا مش هدخل البيت واتقدم وأنا لسه متخرجتش، إن شاء الله أستلم شهادتى وأتخرج وهاجي.

شعرت أم حنين بالإحراج الشديد، فهي التي تطلب منه التقدم لابنتها، وهو يرفض ذلك فقالت بنبرة صوت منفعلة قليلاً:

– خلاص يا ابني! مادام مش دلوقتي يبقى متكلِّمهاش خالص لحد ما تقدر تتقدِّم رسمي.

قال سيف:

- حاضر!

زاد رده من عصبية الأم فقالت:

- ولو كلمتك متردش عليها!

فقال سيف:

- بصي يا طنط! أنا ممكن أوعدك ما أكلمهاش، بس طول ما أنا عايش، لا يمكن ييجى يوم حنين تكلمني ومردش عليها، لو هي مش حابة تكلمني أوكى، إنما لو كلمتني أكيد هردّ عليها.

لم تجد والده حنين من الكلام ما تقوله فمن داخلها معجبة جدًّا بشخصية سيف وصراحته، ولكنها أحرجت عندما أرادت أن يتقدم رسميًّا وهو يرفض في الوقت الحالي، فقالت:

- طيب يا سيف! أنا مبسوطة إنى شوفتك، ولازم أمشي عشان عندي ميعاد.

قال سيف:

- أنا مبسوط أكتر، وياريت أبقى أشوف حضرتك تاني.

قالت الأم: "

- إن شاء الله، مع السلامة!

***

ظل سيف يفكر في تلك المقابلة، وهل رده على الأم كان صحيحًا أم خطأ؟، ذهب سيف إلى المنزل شارد الذهن، ولاحظت سلمى وأمها ذلك، فألحّتا عليه ليعرفا ماذا به؟ و حكى لهما، شعرتا بخطأ سيف، ولم تفهما موقفه في تأجيل خطوبته لحنين رغم أنه جاهز للزواج ماديًّا واجتماعيًّا، وأن موضوع الشهادة لا يد له فيه، كما أنه يعمل ولا يحتاج الشهادة حاليًا، حاولتا إقناع سيف أن يتراجع عن تفكيره لكن دون جدوى..

حوَّلت الأم الدفة تجاه ابنتها قائلة:

- وانتي ياست سلمى! مش شايفة إنك عدِّيتي ال ٣٠ وكفاية كدة؟!

ابتسمت سلمى لأمها، ثم قبَّلتها واستاذنت للذهاب إلى النوم دون أن تنطق بكلمة حتى لا تدخل فى جدال لا طائل من ورائه.

***

لاحظت حنين تغيّر سيف الذي التزم بوعده للأم ولم يحاول محادثتها أبدًا، ومرت ثلاثة أيام دون أيّ اتصال منه، فاتصلت حنين به قائلة:

- ازيّك يا سيف! خير مالك هو انت تعبان، أصل بقالك ٣ أيام مكلمتنيش.

- لا أبدًا! أنا كويس، أنا بس مشغول في الشغل.

- ما انت على طول مشغول وبتكلمني، أو حتى بتطمني بمسدج، اشمعنا دلوقتي؟!

- عادي يا حنين، مفيش حاجه انتى عامله حوار ليه "

حزنت حنين من طريقة سيف معها... وعندما انهارت حنين بالبكاء، وعرفت والدتها ما يحدث اعترفت لها أنها هي من طلبت من سيف ذلك، حزنت حنين أكثر لتدخل والدتها في ذلك الموقف ولمقابلتها سيف من دون علمها، شعرت أن والدتها وضعت قيودًا في علاقتها بسيف وقالت:

- ليه بس يا ماما كده!؟، أنا اليوم اللى سيف مبيكلمنيش فيه بيبقى ناقصني حاجات كتير ونفسيتي بتتعب، وأنا واثقة فيه وفي حبه ليَّا، لكن هو ظروف تخرُّجه تاعباه، وأنا رضيت إني أستحملها، ليه تعملي كده وتبعدي بيننا!

قالت الأم:

- يا بنتي! أنا باتمنى سعادتك، ومش قصدي ولا نيتي أبعد بينكم، أنا عايزة علاقتكم تكون طبيعيه وفي النور، ومحدش يزعل من الأصول!.

قالت حنين:

- ومين قال يا ماما إنها في الضلمة، ما انتي عارفة إننا بنحب بعض، وبابا عارف، وأهله عارفين، يبقي فين الضلمة في الموضوع!!

مسحت حنين دموعها التي انسالت منها بغزارة، وأخذت حقيبتها ونزلت من منزلها مسرعة متجهة إلى المحل لمقابلة سيف، دخلت والدموع تملأ وجهها، وعندما رآها سيف نهض من مكانه مفزوعًا:

- حنين مالك يا حبيبتي!! فيه حاجة حصلت؟!

ارتمت حنين في حضن سيف باكية، لا يعلم ماذا عليه أن يفعل، فهو يحبها جدًّا، ويتمنى ألا تفارق حضنه، وينتظر اليوم الذي تسكن فيه ذلك الحضن دائمًا، وفي الوقت ذاته يخاف الله ويخاف أن يُغضبه، فحنين لا تحلُّ له، ومن شدةه ذهوله وحيرته، أبعدها عنه قليلاً ونظر إلى عينيها متسائلاً:

- مالك يا حبيبتي؟!

فطلبت منه حنين أن يذهب معها إلى أي مكان بعيدًا عن المحل، وبالفعل أمسكت حنين بيده وذهبا معًا إلى مكانهما المفضل، عندما يحاول سحب يده، تمسكها هي بقوة كي لا تُفلتها، حتى استسلمت يده لها، كأنما طفل صغير يستمد الحنان من حضن أمه..

قالت حنين:

- إنت ليه مقولتيليش إنك قابلت ماما؟!

قال سيف بارتباك:

- عادي يا حبيبتي مجاتش فرصة.

- سيف! أنا بحبك ومقدرش أستحمل يوم واحد ماتكلمنيش فيه، إحنا اللي بينا أقوى من أي دبلة وخطوبة، إحنا بينا عشق روح، وحب يملى العالم كله، أنا ماليش دعوة بكلام ماما وباعتذرلك عنه، أنا مش عايزة لا خطوبة ولا أي حاجة، أنا عايزاك بس تكون جمبي، كل يوم، وكل ساعة وكل لحظة، أرجوك يا سيف إوعى تبعد عني.

اغرورقت عينا سيف بالدموع من شدة صدق وحب حنين له، فقلبه يسمع دقات قلبها، وعيناه تشعر بصدق عينيها فقال سيف:

– ولا أنا والله أقدر أبعد عنك... وما تعتذريش عن حاجة، طنط مش غلطانة وبتتكلم صح، أنا بس اللي نفسى لما اتقدملك ميكونش ناقصني أي حاجة، وأكون مهندس فعلاً بيتقدملك مش طالب مش عارف يتخرج، حنين... "

رفعت عينيها في عينيه كأنما تبحث عن ضالَّتها فيهما وقالت:

– نعم يا روح حنين!

– أنا هكلم والدك النهاردة أحدد معاه ميعاد عشان آجي أزوركم أنا وماما وسلمى، ويارب يكون الميعاد النهاردة أو حتى دلوقتي؟

بّكَت حنين أكثر قائلة:

– أنا مش جايالك عشان كده، والله أنا....

قاطعها سيف قائلاً:

– ماتكمليش، كل اللى عايزة تقوليه أنا حاسُّه وعارفه، واللي عارفه أكتر إني بحبك يا حنين أووى، بحبك أكتر من أي حاجة في الدنيا.

***

حدد سيف موعدا مع والديها وذهب لخطبتها بصحبة أمه وأخته. وبالفعل وافق والدها، وتم تحديد موعد الخطوبة الرسمية، وبهذا ارتاحت والدة حنين لخروجهما ومكالماتهما..

بعد خطوبة سيف بأيام بدأت والدة سلمى بالحديث المستمر عن رغبتها فى زواج ابنتها، فمجتمعنا المصرى يطلق اللقب العقيم "عانس" على أي فتاه يتعدى عمرها الثلاثين عامًا دون زواج، وبعض الأحيان يطلق ذلك اللقب على من هُم أقل سنًّا، وهذا يختلف من مكان لآخر. كان يتقدم لابنتها كثيرون، وكانت سلمى ترفض دون أن تراهم، ترى أنها غير مستعدة نفسيا لهذه الخطوة، ترى أن أحلامها أكبر بكثير من زوج، أحلامها تحقيق ذاتها واحترامها لنفسها، ومن ثَمَّ تفكر في منْ تكمل معه مشوارها. تلك النقطة ظلت سبب الخلاف الدائم بين سلمى ووالدتها، دائمًا ما تقارنها الأم بصديقاتها، فجميعهن تزوجن وأنجبن أطفالاً، وتُقارنها بسيف الذى يصغرها بعشر سنوات وحنين التي تصغرها بثلاثة عشر عاما، ويجهزان لزواجهما. لكن سلمى لم تبالِ أبدًا بكلام أمها.. واستمرت المشاكل بينها وبين أمها و زادت.. إلى أن قررت الأم أن تطلب من خال سلمى التدخل لعله يقدر على إقناعها بالامر..

أبلغت الأم سلمى أن خالها سيحضر بعد يومين لتناول الطعام معهم، أتى خالها وتناولوا الطعام والشاى وتبادلوا الضحكات والتهنئات لسيف على خطبته، وبعدها تحدث الخال لسلمى عن رغبه أمها، فقال:

– أنا مش باتدخل يا سلمى، بس انتي بقيتي ٣٦ سنة، يعني مش صغيرة، وأكيد فاهمة وعارفة إنك اتأخرتي أووي في الجواز، مش قادر أفهم تفكيرك.

قالت سلمى:

– يا خالو! أنا تعبت من الكلام ده، ليه محسسني إن محور حياة البنت هو الجواز والعريس وبس، فيه حاجات كتير أووي أهم.

فقال الخال محاولاً تفهم سلمى قائلاً بهدوء:

– احنا ماقولناش كده! بس كل وقت وله أدان، وده وقت إنك تتجوزي ويبقى عندك أطفال، ده حتى السن المناسب للجواز كان لازم يكون من كام سنة كمان، مش لما تدخلي في التلاتين.

فقالت سلمى:

– ومين بقى اللي حدد السن المناسب للجواز ده؟!

تدخلت الأم بنبرةٍ غاضبة:

– التقاليد والمجتمع اللي احنا عايشين فيه.

فقالت سلمى:

– يا ماما! التقاليد دي إحنا اللي بنعملها، مفيش حاجة اسمها سن مناسب للزواج، فيه حاجة اسمها لما أقابل الشخص المناسب ليَّا كزوج يبقى ده الوقت المناسب.

قالت الأم:

– طب يا ستي! ما انتي بقيتي ٣٣ سنة ومقابلتهوش، يبقى تشوفي الناس اللي بتتقدملك، مش ممكن حد فيهم يكون مناسب ويكون هو ده الشخص اللي بتتمنيه؟!

قالت سلمى:

- يا ماما! أنا مش ضد فكرة إني أقابل حد، فيه جوازات كتير نجحت بالطريقه دي، بس أنا مش مستعدة نفسيًا، مش حاسة إني عايزة أتجوز وأكون مسئولة عن بيت وأسرة، أنا عايزة أحقق نفسي الأول، عايزة أنجح في شغلي أكتر، عايزة أسيب بصمة في المجتمع، عايزة يبقى ليَّا دور مؤثر والجواز ييجي على مهله، أو حتى مايجيش مش مهم.

فقال الخال:

- واضح إن مفيش فايدة.

بدأت والده سلمى بالصياح، وارتفع صوتها تعترض على كلام ابنتها، التي سرعان ما قالت: "أنا عندى درس مهم ولازم أمشي"..

وحملت حقيبتها في عجلة وانصرفت تاركة وابلا من اللوم والتوبيخ استمرت أمها في القائه من خلفها لاستكمال الحديث ..

***

بعد أسبوعين من خطبة حنين وسيف، دعا سيف سلمى وحنين للعشاء في المطعم المُفضل لحنين، وأثناء الضحك و المرح أحسَّت سلمى بالألم في بطنها .. نفس الألم الذي اعتادته وتعود عليها .. لكنه الأن أقسى .. على غير عادته في زيارتها سريعا ثم الرحيل. استمر معها هذه المرة لثلاث دقائق

متواصلة مما أصاب سيف بالقلق وطلب منها الذهاب فورًا للمستشفى، ولكنها رفضت متحججة بأنها ستأخذ قرصًا مسكنًا وستُكون بخير، بالفعل مرَّت القصة بسلام ولكن شيئاً من القلق هذه المرة راود سلمى فقررت أن تذهب في اليوم التالي للدكتور..

استيقظت باكرًا ولم تُبلغ أحدًا إلى أين هي ذاهبة، وتوجهت إلى طبيب العائلة الذي تربطه علاقة صداقة قوية بوالدها رحمه الله، وطلب منها عمل بعض التحاليل وفحص عينة من نخاع العظام، ومن بين تلك الفحوصات تحليل كامل للدم، وسونار على الكبد والطحال، وبالفعل أجرت سلمى كل الفحوصات وذهبت بالنتائج إليه بعد يومين..

فسألها الطبيب لماذا لم يأتِ سيف أو أمها معها، لكنها أوضحت له ألا أحد يعرف شيئًا ولا تريد أن تقلقهما، وأن يتكلم معها بصراحة عما بها، فقال لها الطبيب:

- بصي يا سلمى! إنتى زي بنتي وأنا عارف إنك عاقلة عشان كدة مش هخبي عليكي عشان لازم تساعديني في العلاج.

شعرت سلمى من نبرة صوت الطبيب أن الأمر خطير فقالت وهي تحاول التماسك:

- خير يا أُنكل! أنا مستعدة لأي كلام حضرتك هتقوله.

فقام الطيب من مكانه وذهب إلى جوارها وأمسك بيدها قائلاً:

– بصي يا حبيبتي! نسبة كرات الدم البيضاء مرتفعة (٥٢٠٠٠) وده معدل مرتفع جدًّا لأن الطبيعي يكون ١١٠٠٠.. كان يحاول أن يُطمئنها بصوته الهادئ ونظراته الحانية ثم أكمل حديثه قائلاً:

– كده عندنا احتمالين، إما إن تكون التهابات حادة في الدم، إما إن يكون لوكيميا يعني سرطان دم ولكنه قابل للشفاء.

ابتسمت سلمى، واستغرب الطبيب تلك الابتسامة التي من المؤكد أنها تداري خلفها وجعًا وألمًا، فقالت سلمى:

– شكرا يا أنكل، عن إذنك هاستأذن، وابقي أكلم حضرتك بكرة نشوف الدنيا هتمشي ازاي.

لم يحاول الطبيب أن يمنعها من الانصراف لأنه يعلم تأثير كلامه عليها وتأثير الصدمة التي من الممكن أن تصيبها بلا مبالاة وعدم استيعاب خطورة الموقف. يعلم جيدا أن الإنسان في مثل ذلك الموقف يحتاج أن يجلس مع نفسه ليفكر فيما بعد، فقال لها:

– اتفضلي يا حبيبتي! وهاكلمك بالليل أطمن عليكي.

خرجت سلمى متماسكة تماسكًا غريبًا، لم تبكِ ولم تقلق وقالت مرددة الحمد لله، الحمد لله، داخلها شعور غريب، لا تشعر بألم، بل على العكس هى تشعر بعزيمة وإرادة حلت في كيانها كله، كأنها تحمل فى طيتها كل الاسلحة للدفاع عن جسمها من احتلال المرض له. لم تستطع تفسير ذلك الإحساس

الغريب سوى أن الله أنعم عليها بالصبر عند صدمتها فاطمأنت أمام ذلك الخطر الكبير.

ذهبت إلى مسجد قريب من المستشفى، صلت الظهر ودعت الله قائلة:

– يارب، أنا مش عارفه هيكون عندى إيه بالظبط، لكن أيًّا كان أنا راضية، يارب قدرني إنى أرضى مهما اشتد البلاء.

وذهبت إلى المنزل تفكر هل تُخبر أهلها بما حدث؟ أم تنتظر لتتأكد مما أصابها؟ في نفس اليوم ليلاً اتصل بها الطبيب وطلب منها الحضور باكرًا، وبعد فحوصات أخرى تأكد أن سلمى مصابة باللوكيميا، صارحها بما تأكد منه وكان ردها:

– الحمدلله!

قال لها الطبيب:

– سعيد أنك متماسكة ومؤمنة وده اللى توقعته، بس ارجوكي يا سلمى لازم تساعديني، السرطان مرض زي أي مرض، وبالإرادة هنقدر ننتصر عليه، صدقيني ده مش كلام وخلاص دي حقايق، وسرطان الدم ناس كتير اتغلبت عليه وبفضل الله تم شفاها.

– إن شاء الله خير!

– طيب الخطوة الأولى لازم نبلغ سيف وماما، تحبى انتي تبلغيهم ولا أنا؟!

قاطعته سلمى موضحة رغبتها في عدم تبليغهما بشيء، راجية الطبيب ألا يقول أي شيء لأحد، ولكنه رفض بشدة وقال إن أهلها سيكونون من أهم الناس القادرين على المساعدة المعنوية والنفسية في العلاج ولا مفر من إبلاغهم، فقالت سلمى:

– خلاص يا أُنكل! سيبني أنا أبلغهم، ممكن تقولي العلاج هيكون ازاي وهيبدأ امتى؟

فطمأنها الطبيب أن حالتها تسمى ابيضاض الدم النخاعي الحاد (Acute Myelogenous leukemia – AML)، والمرض تم اكتشافه مبكرًا مما يجعل نسبة احتمال الشفاء منه أكبر، وأن العلاج سيكون أقراص إماتينيب لإبطاء تقدمه، وإذا لزم الأمر اللجوء إلى العلاج الكيماوي..

***

انصرفت سلمى تفكر فى ذلك الابتلاء الشديد، كيف تسلل ذلك المرض إلى جسدها الضعيف دون رحمة؟ وهل عليها الاستسلام؟ أم التمسك بالأمل والرغبة فى الحياة؟ وكتبت فى مدونتها وهى تحدث نفسها بصوت مرتفع، كأنها تحاول أن تمنع الأفكار السلبية من السيطرة عليها بذلك الصوت:

"لا، لن استسلم للمرض سأعيش أيامى دون التفكير فى المرض أو الموت، سأمنع الخوف من أن يتسلل إلى قلبى، لن أسمح له أن يفتك بي، لن يزرع الشيطان الخوف وعدم الرضا فى قلبى، لن أسمح له أن ينزع الإيمان والأمل و الصبر من داخلى، سأكون أقوى من المرض و أنتصر عليه"

أصبحت سلمى فى حيرة من أمرها كيف يمكن أن تبلغ سيف ووالدتها بإصابتها بذلك المرض؟، كيف لها أن تُهون عليهما الصدمة؟، ذهبت إلى المنزل وكانت أمها تعد الطعام، وسيف فى طريقه إلى المنزل، ساعدت والدتها فى تجهيز الطعام وهى تفكر كيف ستخبرهما؟ وكيف سيستقبلان كلامها؟ أشفقت عليهما، فصدمة وفاة والدها كانت كبيرة على الجميع، ومن المؤكد أن صدمة إصابتها بذلك المرض اللعين ستكون أكثر وجعًا وأشد ألمًا، وجاء سيف وقبَّل والدته وأخته، وتناولوا الطعام. قررت سلمى أن تفاتحهما فى الموضوع أثناء تناولهم للشاى..

– أنا كنت عايزه اقولكم حاجه مهمه..

فقالت الأم:

– قولي يا حبيبتي خير!

فسكتت سلمى، لم تقو على الكلام أو النطق ولو بكلمة واحدة، نظرت أمها إلى عينيها لعلها تفهم، ثم قال سيف:

– فيه ايه يا سلمى قلقتيني.

فمسحت سلمى دمعة ترقرقت من عينيها قائلة:

– مفيش حاجة! بس كان نفسي أقولكم إني بحبكم أوي، بحبكم أكتر من أي حاجة فى الدنيا.

ابتسم سيف قائلا:

– مهما كان مقدار حبك لينا، فهو ولا حاجة جمب حبنا ليكي يا أجمل سلمى.

أما الام فظلت صامته فهى على يقين أن هناك شيئًا خفيًّا لم تقُلْه سلمى..

مر اليوم كاملاً من دون أن تقول سلمى لهما شيئا، هي قوية وراضية بالابتلاء، وتعلم أيضا شدة إيمانهما ولكنها لاتثق بردة فعلهما، فاختارت تأجيل الأمر حتى تتاح لها فرصة مناسبة..

***

بعد يومين... اتصلت سلمى بسيف وطلبت منه المقابلة خارج المنزل لأنها تريد التحدث معه، وبالفعل تحرك سيف على الفور في طريقه إليها في المكان المحدد، وجلسا معًا..

سلمى متماسكة إلى أبعد سماء، ملامح وجهها طبيعية جدًّا، لا يوجد أي علامات توتر أو قلق عليها ..

بدأت سلمى كلامها:

- سيف! فيه موضوع مهم لازم أقولهولك، بس ياريت قبل أي كلام تكون متفهم كلامى بإيمان وثقة بالله، وتبقى متأكد إن الأعمار بيد الله، وربنا قادر على كل شيء.

فانفزع سيف قائلا:

- فيه إيه!، ماما جرى لها حاجة؟!

فأمسكت سلمى بيد أخيها المرتعشتين قائلة:

- لا يا حبيبي ماما بخير، أرجوك اهدى عشان تقدر تسمعني.

فقال سيف:

- أُمال إيه يا سلمى، قلقتيني!!

فقالت سلمى بابتسامة يملؤها الرضا:

- أنا عرفت إني الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله عندى لوكيميا.

حدَّق سيف في وجهها في ذهول، دون أن يتفوَّه بكلمة، فقالت سلمى:

- سيف سامعني؟!

ظل سيف صامتًا لم يحرك حتى رأسه سواء بعلامة الإيجاب أو النفي، فأكملت سلمى قائلة:

- ماتوقعتش رد فعلك ده، اللي أعرفه عنك إنك قوي ومؤمن، توقعت إنك هتقويني مش تسكت!

فقال سيف بصوت مرتعش وعيناه تملؤهما الدموع بعد أن اقترب ومد كفه يلتقط يديها :

- أكيد فيه حاجة غلط يا سلمى، قومى بينا نروح لأُنكل رمزى، عشان يثبتلك إنك غلطانة.

ونهض سيف من مقعده، فضغطت سلمى على يده تدفعه للجلوس مرة أخرى وهى تبتسم قائلة:

- دكتور رمزي عارف كل حاجة وهو اللى هيعالجني.

نار أمسكت بزوايا قلبه بعد أن سمع كلمات أخته ومن ثم استسلم لليأس قائلاً:

– أنا مش مصدق اللى بسمعه، احكيلي كل حاجة من الأول، وفهميني، أنا مش مستوعب ولا فاهم أي حاجة!

وبعد ساعتين من الكلام المتواصل بين سلمى وسيف محاولة منهما ترتيب خطة مناسبة لإبلاغ أمهما بحالة سلمى، استقرا أن سيف هو من سيبلغها الأمر فى الوقت المناسب..

***

تلك المحنة جعلت سلمى تعيد ترتيب أولوياتها، شعرت بتقصير تجاه أمها وسيف، وشعرت أيضا بتقصيرٍ تجاه صديقتها المقربة دِيما، أدركت أن الأيام تمرُّ سريعًا فلقد أصبحت أمانيً ابنة ديما في الثالثة من عمرها، فهاتفت سلمى صديقتها ديما واتفقتا على المقابلة في النادي ليلاً..

واثناء ارتداء سلمى لملابسها لتتجه إلى مقابلة صديقتها إذا بباب غرفتها يفتح، وتُطل عليها أمها بابتسامة ظاهرها جميلا لكن داخلها مرارة، واقتربت من ابنتها، واحتضنتها حضنًا دافئًا، وأجهشت فى البكاء، فعلمت سلمى أن سيف قد أبلغ أمها بحقيقة مرضها فاحتضنت أمها أكثر وبكت معها..

بكاء سلمى لم يكن حزنًا لمرضها، ولم يكن عدم رضا بقضاء الله، ولكنه كان خوفا على أمها من الصدمة، خوفا على أمها من اليوم الذي ستفارقهما فيه سلمى، خوفًا على أمها من المجهول وما سوف يحدث غدًا...

مسحت الأم دموع ابنتها التى تذبحها ثم وضعت كفها على كف سلمى قائلة:

– كفاية دموع يابنتي! ربنا كريم! وان شاء الله هيشفيكي وتفضل ضحكة أجمل سلمى منورة حياتنا!

فابتسمت سلمى قائلة:

– ضحكتي هتفضل طول ما انتى وسيف بتضحكوا.

لم تعرف الأم ماذا تقول، فحاولت أن تنهي ذلك الموقف الصعب قائلة:

– انتي اتأخرتي أوي يا حبيبتي، يالا زمان ديما مستنياكي.

قبَّلت سلمى أمها وانصرفت داعية الله أن يُخفف من صدمة أمها، وأن يرزقها الثبات والرضا بذلك البلاء العظيم، واستمرت دمعات الأم تنساب فى هدوء على وجنتيها .. ابتسمت سلمى وعادت إلى أمها ومنحتها عناقا سريعا، وأخبرتها أنها لن تتأخر وأنها تريد أن تأكل مع أمها وسيف البيتزا التى تعشقها من يد أمها عند عودتها ..

دفعت سلمى بيديها الباب الزجاجى للمقهى الذى ستقابل فيه صديقتها، وفورا وقعت عينيها على ديما وابنتها، فركت أمانى الصغيره إلى سلمى وقابلتها بالأحضان والقُبُلات الكثيرة ..

كانت سلمى صامتة تحتسي كوبًا من القهوة التي تعشقها، أما ديما فكانت تنظر إليها بفضول واستغراب فى ذات الوقت، فقدلاحظت أن وجه

صديقتها ليس على ما يُرام، وسألتها عن سر ذلك، لكن سلمى لم تقل لها شيئًا وتحججت بأنه إرهاق لقلة نومها ..

فشلت سلمى فى إخفاء ما بداخلها وظهرت أمارات الحزن على وجهها، راضية بما قسمه الله له ولكنها حزينة إلى أبعد الحدود، لا تعلم هل هي حزينة على نفسها فحسب، أم حزينة خوفًا على أهلها ومن يحبونها من احتمالية فراقها..؟

ثم حكت ديما لصديقتها عما يشغلها تلك الفترة، فقد تغيرت ديما كثيرًا كما يتغير كل شيء من حولنا.. وها هي الآن تبحث عن عمل لأن ابنتها تستطيع أن تذهب إلى الحضانة، فهناك من الوقت ما يسمح لها بالعمل وتحقيق ذاتها..

وقالت لها سلمى أنها بامكانها مساعدتها، وأنها ستتصل بخالها ليساعدها على إيجاد فرصة عمل مناسبه لها ..

انتهت المقابلة، وفور انتهائها اتصلت سلمى بخالها الذي وعدها بتوفير فرصة عمل لصديقتها..

وبالفعل قبلت للعمل كمحاسبة في إحدى الشركات وبدأت مشوارها العملي..

***

حين ندرك اقتراب لحظات الفراق .. نشعر وكأننا في حاجة شديدة للبقاء قريبين من كل من أحببناهم بصدق .. وكأننا نشبع أنفسنا بوجودهم .. وهذا بدقة وبالتحديد، ما شعرت به سلمى ..

قابلت ديما مشاكل كثيرة مع الناس في التعاملات، رغم أنها شخصية اجتماعية مرحة، ولكن ما حدث لها وتجربتها مع هيثم ونرمين أثرت بالسلب على حياتها، أصبحت تخاف الناس وتخاف التعامل معهم، أصبحت تتعامل بجفاءٍ مع من حولها رغم أنها شخصية حنونة جدًّا، أصبحت تخشى من تكوين علاقات وصداقات جديدة وتكتفي بمن هم أصدقاؤها منذ فترة.. تغيرت صفاتها الجميلة ..

حاول عمرو كثيرًا كسر ذلك الحاجز النفسي الذي نشأ بداخلها، محاولاً إقناعها بأن هناك أشخاصًا صادقين يحبون الخير للآخرين على عكس هيثم ونرمين، لكنها تمسكت برأيها أن الأشخاص الجيدين قليلون جدًّا، وأنها لن تسمح بخداعها باسم الصداقة أو أي مسمى آخر مرة أخرى. وكانت بالفعل سعيدة بتغيرها وترى الراحة في ذلك القرار وتلك المعاملة الجافة مع الناس واكتفائها ببيتها وزوجها وابنتها والقليل من الأهل والأصدقاء ..

***

بدأت سلمى رحلة علاجها وحالتها مستقرة جدًّا، لا تشعر بالتعب إلا في فترات قصيرة، ولم يكن لذلك المرض أي تأثير سلبي على حياتها وتصرفاتها، بالعكس تمسكت بحلمها أكثر وحاولت أن تجتهد بشتى الطرق لتحقيقة خوفًا منها أن يمر عمرها سريعًا وهي لم تحقق شيئًا مما تتمناه..

حُدِّد لها ميعاد في قناة تليفزيونية أخرى لتقوم ببعض الاختبارات، وبالفعل حضرت أول مقابلة وكان لديها فكرة البرنامج الذي دومًا حلمت

به، قابلت أول مرة مسؤول البرامج في القناة الذي شعرت وقتها أنه شديد الإعجاب بشخصيتها وفكرة برنامجها، وطلب منها الحضور في اليوم التالي حتى يقوم باختبار الكاميرا لها، وعندما ذهبت طلب منها أن تقول فكرة البرنامج وتتحدث عن نفسها ليسجلها صوتًا وصورة في الاستوديو وعرض الفيديو على المسئولين..

وبعد التسجيلات أخبرها أن تنتظر مكالمة هاتفية، لكن مر شهر والآخر دون أي مكالمات مما أشعرها ببعض الإحباط، ولكنها أبدًا لم تيأس وقررت أن تستمر في التقديم في قنوات أخرى..

مر عام كامل على ذلك الحال، تجتهد سلمى وتعمل ما بوسعها للعمل في المجال الذي طالما حلمت به دون أي جدوى، وحالتها الصحية تأثرت وأصبح العلاج بالدواء وحده غير كافٍ، مما اضطر الطبيب لاستخدام العلاج الكيماوي..

عرض عليها أن تكون دائما على تواصل بمن هم فى نفس حالتها، وبمرضى السرطان عموما حتى يساعدوا بعضهم بعضًا على التفاؤل، ويكونوا يدًا واحدة في محاربة ذلك المرض اللعين، وبالفعل حضرت سلمى أول لقاء بمن هم مثلها، كانت متوترة وخائفة ولكن طمأنها الطبيب صديق والدها أنه سيكون معها، وأقنعها أن ذلك الأمر مفيد لها فعندما يقابل المريض من أصابهم نفس مرضه فمن الممكن أن يقلل ذلك من معاناته لانه سيشعر أنه ليس وحده، فأحياناً المشاركة فى البلاء تقلل المعاناة.

كان الأمر مقنعاً بالنسبة لها .. فذهبا إلى المكان المحدد والتقت بمجموعة كبيرة من الشباب والبنات المصابين بذلك المرض ـ كانوا من مختلف الأعمار، ومختلفين أيضًا في أنواع الإصابات بالمرض وطرق العلاج، ولكنهم تجمعوا على شيء واحد وهو قرارهم بالانتصار على ذلك المرض وأسموا أنفسهم "محاربو السرطان" وليسوا مرضى..

الثقة بالله والثقة بأنهم قادرون على النجاح في ذلك الامتحان الصعب هي أهم ما يميزهم، لا يختلف نوع الألم، ولا يُفرق المرض بين أنثى وذكر في تساقط الشعر بعد التعرض للعلاج الكيميائي، الألم واحد، والخوف واحد من مصير مُشابه يتوقعه معظم المصابين، يفرق بينهم فقط قوة الإرادة التي تميز أحدهم عن الآخر، وحدها الرغبة في الحياة هي التي تزيد من فرص نجاة مريض وتُنقص من فرص نجاة الآخر. وهي الرغبة التي يختلف التعبير عنها من مريض لآخر، بعضهم من يتمسك بالحياة، يحتضن أهله وأولاده، والبعض الآخر من يواظب على العلاج ويواجه المرض بالضحك والتفاؤل. بينما يختار البعض بعث رسائل للمرض، رسائل مكتوبة ومختومة بأنهم "المحاربون" وسوف يواجهون المرض وينتصرون عليه..

وبعد ثلاث ساعات مروا وكأنها ثلاث دقائق طلبت أن تنهي لقاءها معهم ببعض كلمات:

– شكرًا جدًّا يا أنكل رمزي أنك عرفتني على الناس الجميلة دي، وشكرا على وجودي معاكم، أنا اتعلمت منكم في الكام ساعة دي حاجات كتير

أوي، وهاخرج من هنا إنسانة جديدة، عندها ثقة أكبر في ربنا، وعندها ثقة في نفسها إنها هتقدر تتغلب على المرض، لازم كلنا نواجه المرض ومانستسلمش، بجد الابتلاء بيخلي الإنسان قوي أوي، أقوى مما هو نفسه ممكن يتخيل، لازم نعرف إن السرطان مش نهاية الطريق، السرطان بداية جديدة، بداية جديدة في علاقتنا بربنا، بداية جديدة في نظرتنا للحياة، بداية جديدة في تفكيرنا ازاي نسيب أثر جميل وبصمة قبل ما نفارق الحياة سواء دلوقتي أو بعد ٥٠ سنة، لازم نبقى عارفين إن ربنا مش بيعاقبنا، ربنا بيختبر قوة إيماننا وبيزيد من حسناتنا، زي ما رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام قال "ما من مسلم يُشاك شوكة فما فوقها إلا رفع الله بها درجة وحط بها خطيئة " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، مفيش حاجة تاني أقدر أقولها تاني غير ياارب..

كانت ساعات ملهمة ،، قضتها مع المحاربين عادت بعدها إلى منزلها حاملة حفنة من المشاعر المتناقضة، رضا بقضاء الله وفرحتها بذلك الابتلاء الذي سيزيد من حسناتها إن شاء الله إن صبرت، و خوف، ليس خوفاً من الموت، ولكنه خوف من أن تُنسَى، من ألا تجد من يدعو لها، أو من أن يدعو لها أصدقاؤها وأهلها شهرًا والآخر ثم النسيان وسط مشاغل الحياة..

قررت ألا تترك نفسها لذلك الإحساس ولا تترك نفسها للخوف وتعمل ما بوسعها وأكثر لتصل إلى الناس وتفيدهم بأفكارها وبأفكار البرامج التي تتمنى تقديمها، لعل وعسى يستفيد بها أحد ويتغير مجرى حياته للأفضل

ويظل الباقي من عمره يدعو لها، فعاجلاً أم آجلاً سنموت جميعا، لا أحد مخلد، ولكن الفرق بين شخص وآخر هو الأثر الذي يتركه في قلوب من حوله، الفائدة التي يتركها يستفيد بها غيره فتعيش سيرته وأثره إن مات.

قررت سلمى أن تسعد من حولها قدر الإمكان، تسعد أخاها وخطيبته، تسعد أمها التي هدَّها علمها بمرض ابنتها، تسعد ديما وخديجة فَهُما أقرب أصدقائها..

***

جاء موعد عيد ميلاد والدتها الذي لم يحتفلوا به منذ أكثر من ست سنوات منذ توفى والد سلمى وسيف، ولكن هذا العام قررت سلمى أن تُسعِد أمها واتفقت مع سيف أن يبلغ أقاربهم ليحتفلوا بعيد ميلاد والدتها في المنزل بعد أيام. احتارت سلمى ماذا تقدم لأمها كهدية، فأي شيء لا يمكن أن يكفي الأم أو يرد جزءا صغيرا من أفضالها على أولادها. بعد موعد الدرس الديني سألت خديجة عن رأيها فقالت خديجة:

– أنا هقولك يا سلمى تجيبلها إيه، فاضيه ولا وراكي حاجة!؟

أجابت سلمى بأنها لا يوجد لديها أي مواعيد اليوم، فأخذتها خديجة واتجهت بها إلى المهندسين وركنت السيارة أمام مكان ما تحت الإنشاء، وأخذتها إلى داخل المكان قائلة:

– ده مسجد يا سلمى، المفروض خلال ٦ شهور وقبل رمضان يكون اتبنى، إيه رأيك.

استدارت سلمى نحوها متسائلة :

- مش فاهمة رأيى في ايه؟!

قالت خديجة : الفلوس اللى كنتى هتجيبى بيها هديه لمامتك، حُطيها في المسجد ده، صدقة جارية باسمها تنفعها في الدنيا والآخرة بعد عمر طويل، الصدقة دي فضلها كبير أوي، ده الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (سبعٌ يجري للعبد أجرُهن وهو في قبره بعد موته: مَن علَّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته)، ربنا يدِّي لطنط العمر الطويل بس احنا عايشين النهاردة ونقدر نعمل حاجة محدش عارف بكرة فيه ايه، فماينفعش نتأخر في عمل أي شيء ينفعنا في الآخرة..

ابتسمت سلمى لصديقتها وفرحت جدًّا بتلك الفكرة، فالورد الذي كانت تفكر أن تعطيه لأمها سيذبل وأي هدية أخرى ستستعملها أمها فترة وتستفيد بها ثم تنتهي ذات يوم. أما ثواب الصدقة الجارية سيستمر، ويزرع البركة في حياتها ويُفيدها بعد مماتها..

فقررت سلمى أن تفعل ما نصحتها به صديقتها، وأيضًا ستُعدد النوايا بأن تكون تلك الصدقة صدقة جارية لها ولأمها وأبيها رحمه الله وسيف، وأن تكون الصدقة بنية أن يبارك الله لهم في حياتهم ويرزقهم حسن الخاتمة، ويوفق سيف وتحل مشكلة نجاحه وأيضًا لشفائها، وأن يفك الله ما بهم من كرب، فالله يُحب تعدد النوايا ويجوز ذلك في الصدقات..

مر شهران والحال كما هو بالنسبة لسلمى، تتلقى علاجها دون تعب أو اعتراض على حكمة الله، وتسعى إلى تحقيق الحلم.

أما سيف فقد قضت المحكمة بتصحيح ورقة امتحانه بواسطة دكاترة آخرين و ثبت أنه يجيب بالإجابة المثالية ولا يُعطَى الدرجات، فعوقب الدكتور معدوم الضمير وتوقف عن العمل وتخرج سيف رسميًّا من كلية الهندسة وحدد ميعادًا مع أهل حنين لزواجهما، فلا يوجد أي عائق للتأجيل، لقد تخرج وله عمله الخاص الذي يكسب منه الكثير وينجح فيه وجهز شقة فخمة في مكانٍ راقٍ..

***

فى عمل ديما الجديد جمعتها الصدفة بزميلتها القديمة لبنى التي تعمل في نفس الشركة، اتفقتا سريعًا على أن اللقاء بعد انتهاء الدوام..

وبالفعل التقتا في أحد الكافيهات واسترجعتا الذكريات حتى جاءت سيرة نرمين، وكانت صدمة بالنسبة لديما أن تسمع أخبارًا سيئة عن نرمين، حيث توقف عقل ديما عن التفكير، وتساءلت هل أنا سعيدة أم حزينة لسماعي تلك الاخبار؟

وقعت نرمين فريسة لشخص سيء السمعة، تعلق به قلبها سريعًا وأحبته حد الثمالة، بل ذابت فيه عشقًا وتمت خطبتها له سريعًا، بل وصل الأمر أنها دخلت معه في شراكة بمشروع وساهمت بكل ميراثها من أبيها، حيث

ساهمت بأكثر من ٨٠٪ من رأس المال وأعطت لخطيبها كل الصلاحيات ومن أهمها إصدار الشيكات بتوقيعه منفردًا وسحب الأموال من حساب الشركة بتوقيعه منفردًا.

فشل المشروع وزادت الديون، فقام خطيبها بالقفز من السفينة قبل أن تغرق وقام بسحب الأموال المتبقية في الشركة، وفر هاربًا تاركًا لها الديون المتراكمة، وأرسل لها خطابًا يبلغها بأنه لا يستطيع تحمل الديون، و لا حل لديه سوى الهروب والنجاة بنفسه. حاول خطيبها من خلاله أن يُراعي ما تبقى لديه من ضمير أصبح في سكرات الموت، فاختتم الخطاب بإعلانه لها عن فسخ الخطبة معلنًا بذلك في ذات الوقت عن موت ضميره نهائيا.

شربت نرمين من نفس الكأس الذي سقت منه صديقتها، كأس الغدر، كأس الأنانية وانعدام الضمير، لم تتعاطف ديما مع ما سمعته، فجرحها من نرمين جعلها لا تشفق عليها في أي شيء، فهذا عدل الله في الأرض، عندما تكذب سيُكذب عليك، عندما تخون ستُخان أشدّ خيانة، وعندما تضر شخصًا وتجرح مشاعره فلابد أن يأتي اليوم الذي تُجرح فيه.

وأثناء قيام ريهام بسرد ما حدث لنرمين من تعب نفسي و ألم، شعرت ديما بسعادة بالغة وشعرت بنشوة ولذة ملأت الأرض وما عليها ولسان حالها يقول:

"يا الله، ما اعدلك، يا من سميت نفسك العدل" ولكن، أصابها الذهول فجأة وتمنت لو أن أمامها مرآة لتنظر فيها فورًا، وقالت في نفسها: ماهذا؟

هل أنا ديما؟ أين قلبي؟ أين حبي للناس وتسامحي؟ هل أنا سعيدة بما حدث لنرمين؟ هل وصلت قساوة قلبي إلى هذا الحد؟ كيف تملأ الشماتة قلبي إلى هذا الحد؟ هل هذا غضب من الله، هل ينطبق على حالتي قول الله تعالى "ثم قست قلوبكم بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...."؟

واستكملت لبنى سرد ماحدث لنرمين قائلة:

ووالدة نرمين ماقدرتش تتحمل اللي حصل لبنتها...

وهنا كانت الصدمة لديما فقالت لها فورًا:

- مالها مامتها؟ حصل ايه؟

كانت ديما تعشق والدة نرمين وتعتبرها مثل والدتها، وطلبت من ريهام أن تستكمل السرد، فقالت ريهام أن والدة نرمين لم تتحمل ما حدث لإبنتها ونُقِلت فورا إلى المستشفى وأوصى الأطباء بضرورة إجراء عملية خطيرة في القلب.

شُلَّ تفكير ديما وتمنت لو أن تكون بجوار والدة نرمين الآن، وانتهى اللقاء بين ريهام وديما على وعد أن تتقابلا سويًّا في الأجازة الأسبوعية.

***

عادت ديما إلى بيتها والحيرة مسيطرة على تفكيرها، كيف تطمئن على والدة نرمين؟ وفكرت قي زيارتها في المستشفى ولكنها خافت أن تفهم هذه

الزيارة على أنها شماتة، حتى هداها تفكيرها أن تكتفي بإرسال رسالة نصية على هاتف والدة نرمين لعلها تقرأها وتعلم ما تُكِن لها ديما من حب، وبالفعل أرسلت الرسالة، وبالفعل تم قراءة الرسالة ولكن ليس من والدة نرمين، بل من نرمين التي قامت بالرد ردا صادما على الرسالة قائلة:

– موبايل ماما مش معاها، قلقانة عليها ازاي! وانتي كنتي عايزة تسجني بنتها؟

لم تُعر ديما اهتمامًا للرسالة حيث إن ما تعرضت له من صدمات أفقدها ما تبقى لديها من إحساس، ولم تتعجب كثيرًا.

وفوروا قامت ديما بمسح الرسالة وذهبت إلى فراشها، حيث لا داعي في أن تفكر في شئ لا جدوى منه.

***

وبرغم مرضها لم تيأس سلمى .. استمرت في التقديم لكثير من القنوات، وبداخلها يقين أن حلمها يومًا ما سيكون واقعًا، فى ذاك الوقت شعرت بحاجتها إلى الكتابة، فالكتابة أصبحت لها الصدر الحاني الذي تلجأ إليه عندما تريد التعبير عما بداخلها، هي صوت تنطق به عن طريق يدها وقلمها.. أمسكت القلم وكتبت مقالاً جديدًا بعنوان "رسالتي لكل من يظن أن أحلامه مستحيلة".

"لا أُنكر أنني أُصبتُ بالإحباط، وأُصبتُ بخيبة الأمل لفترة ما، لكنني سرعان ما عدتُ إلى صوابي، فكيف تكون أحلامي مستحيلة ويوجد خالقٌ يقول لما ومن يشاء "كن.. فيكون"؟

كيف أراها بعيدة والله أنعم علينا بالدعاء؟ كيف أترك الأمر لخلقه الذين لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا، فأنال منهم الإحباط وخيبة الأمل؟ كيف أضع أحلامي بين يدي مخلوق وأظن أنه هو القادر على مساعدتي رغم أن خالقي بيده كل شيء؟

قررتُ ألا أستسلم، قررتُ ألا أترك الظروف تتحكم بي وتُطيح بأحلامي وطموحاتي، قررتُ أن أحلم وأحلم وأسعى جاهدة لتحقيقها، وسواء حققتها أم لا، فيكفيني شرف المحاولة وعدم الاستسلام..

أريدك أن تعي يا عزيزي، سواء كنت في عمري أو أكبر أو أصغر مني سنًّا، أنه لا يوجد من يستطيع حرمانك من أحلامك، ولا يحق لأي شخص أن يكسر ما بداخلك من حلم، وبالصبر والاجتهاد تصبح الأحلامُ حقيقةً والواقعُ أجمل..

أتمنى أن تصبح أحلامكم حقيقة.. سلمى عمر"

***

اتصلت بسلمى قناة فضائية معروفة سبق لها أن قدمت فيها عشرات المرات بلا جدوى ولكن شاء الله أن تُقبل فيها، توقف خيالها برهة لا تصدق ما يحدث معها، وطافت بخيالها تتخيل كيف سيكون برنامجها، قفزت إلى رأسها فكرة تدعو إلى أن نرى كل ما هو جميل في شبابنا وبناتنا، ويقسم البرنامج إلى فقرات، يتناول قصص نجاح لشباب صغير، تتناول فقرة عن

الطرق المؤدية للنجاح وكيف لنا أن نُصر على تحقيق الحلم، و فقرة عن الأخلاق وأهميتها في مجتمعاتنا وعلاقتنا مع الآخرين، وأخيرًا جانب ديني باستضافة داعية إسلامي قريب من الشباب مرة كل أسبوعين، ليتحدث معهم عن مشاكلهم وكيفية إيجاد الحلول لها.

ذهبت إلى القناه فى الموعد المحدد وعرضت فكرتها كاملة وتم قبولها والترحيب بها والتحمس لتنفيذها ..

نعم تحقق الحلم الذي ظلت عشرين عامًا تحلم به منذ أن كانت في المرحلة الابتدائية، تحقق الحلم الذي لم تملّ ولم تكفّ في الدعاء بأن يرزقها به الله، تحقق ما حلمت به يومًا أن تغير شيئًا ولو صغيرًا في تفكير الشباب وأن يكون لها أثرٌ في حياة غيرها..

وجاءت أول حلقة من البرنامج الذي يُبث على الهواء مباشرة، وقبل الهواء بعشر دقائق أخذت سلمى تستعرض حياتها كلها أمام أعينها، تتذكر كم واجهت من مصاعب، تتذكر إيهاب وما فعله بها وبمشاعرها، تتذكر كم التنازلات التى طلبت منها، تتذكر ذلك الجهاد الطويل الذى عذبها خلال رحلة حلمها..

كان الجميع في انتظار ذلك اليوم، سلمى وأقاربها، أصدقاؤها خديجة وديما وعمرو، وجميع محاربي السرطان، وكانت الحلقة الأولى وموضوعها "كيف تترك أثرًا وتُحقق حلمك وتتحدى أي صعوبات مهما كانت درجتها

- سلمى ناقص نص دقيقه ونكون على الهوا، استعدى... ٣..٢... ١ "

قال المخرج...

أطلَّت سلمى بابتسامتها الرقيقة قائلة:

- مساء الخير، سعيدة جدًّا إنى هاكون معاكم في أول حلقة من برنامج "هنعيشها صح"، حلمت كتير واستنِّيت كتير اليوم ده والحمد لله ربنا كرمني إني أحط رجلي على أول الطريق، عشان كده هيكون تحقيق الحلم أول حلقة عشان نفسي الكل يفرح بتحقيق حلمه، نفسي محدش يقف وييأس مهما مرت سنين أو قابل مشاكل، كلنا عندنا مشاكل كبيرة، ممكن مشكلتك تكون في الوحدة، ممكن تكون في ضعف الإمكانيات، ممكن تكون في الظروف الصعبة أو المرض، حاجات كتير أوي في الحياة بتوجعنا، والوجع ده لازم مايضعفناش، لازم يخلِّينا أقوى ويخلِّينا أكتر إصرار وعزيمة عشان نحقق حلمنا..

انت محتاج تتعب عشان تقدر تحقق الحلم.. الحلم اللي عشت سنين تعافر عشان تقدر تشوفه حقيقة ملموسة..

النهاردة حلمي أتحقق بالوقوف قدام الكاميرا والكلام مع حضراتكم، وانت كمان بكرة حلمك هيتحقق بس اوعى تيأس.. كمل ومتخليش صوت يأخرك، ولا كلمة توقفك.. إنت هتقدر بس دايما قول يا رب..

هنطلع أول فاصل ونرجع نستقبل ضيفنا اللي هينورنا ويشرفنا النهاردة الكاتب والروائي الاستاذ حسام الدالي وحديث خاص عن مستقبل الرواية العربية..

ابقوا معنا ..